السبيل

قال سبحانه وتعالى:

«قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ»

يوسف 108.

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال : هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره وقال : هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه ثم قرأ :

«وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»

حديث صحيح

تنبيه هام : إن هذه الجريدة تتضمن آيات من القرآن الكريم فالواجب عدم امتهانها

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة تصدر مرة في الشهر مؤقتا - المدير المسؤول : إبراهيم الطالب - رقم الإيداع القانوني : 2005/0096 - العدد20 - 11 صفر 1428 هـ الموافق 01 مارس 2007م - الثمن 5 دراهم

فجرتم الجزائر وتوعدتم المغرب.. ماذا تريدون؟!

التفجيرات التخريبية: معروف أم منكر؟!

الصفحة: 6



ملف العدد

إلغاء عقوبة الإعدام بالمغرب : الأبعاد والضغوط

الصفحة:18-23

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

"كلمة العدد"

العلم والثقافة

لا يجرؤ كثير من الذين يدَّعون حريات التعبير والرأي والتفكير أن يتعرضوا بالنقد لمبادئ الديمقراطية، وثقافة "حقوق الإنسان"، والغريب أن هؤلاء أنفسهم هم من يستهدف المقدسات الإسلامية بالنقد بدعوى تفكيك العقل العربي وإعادة تأسيسه على ما وصل إليه الإنسان من تقدم وتطور يستحيل معه قبول ثقافة "الطابوهات" مما يتطلب والحالة هذه استهداف كل شيء بالنقد والتحليل، ومن تم اعتبر أصحاب هذه النحلة القرآن الكريم كلام الله سبحانه "كتابا تاريخيا" قابلا للنقد، كما هو الحال بالنسبة لأي كتاب تاريخي من تأليف البشر، فضُربت كل كتب التفسير المعتمدة في بلاد الإسلام بعرض الحائط، وأعمل أولائك الذين خلعت عليهم ألقاب من قبيل: "الدكتور" و"الأستاذ" و"الباحث" أفهامهم المتحررة من تراث الأجداد، المقيدة بتراث الثورة الفرنسية وما أعقبها من نظريات إلحادية مثل: "حيوانية داروين" و"مادية كارل ماركس وإنجلز" و"شهوانية فرويد" و"همجية مكيافيلي" و..

فخرج علينا "الدكتور" و"الأستاذ" و"الباحث" بعد النقد والبحث بخلاصة مفادها أن قرآننا قد انتهت صلاحيته فلا جدوى من المطالبة بتطبيق ما فيه لأن ذلك أصبح من قبيل الرجعية والظلامية، لأن ما فيه من قصاص وعقوبات كانت تتماشى مع المجتمع الزراعي، ولم تعد تساير المجتمعات الصناعية.

فقالوا: كيف يمكن أن قطع يد السارق فنرفع من نسبة المعاقين؟ ونخسر بذلك يدا عاملة ترفع من معدلات الإنتاج.

فقلنا إذا افترضنا أن مجتمعا تبنى اقتصادا زراعيا أكنتم تسمحون بتطبيق تلك العقوبات فيه؟ قالوا: مستحيل لأن ثقافة "حقوق الإنسان" تمنع من ذلك.

إن ما سبق ذكره يعتبر خلاصة غير مخلة لكل ما نشر وينشر من دراسات حول القرآن الكريم والشريعة الإسلامية، منذ الغزو الفكري لدول العالم الإسلامي والذي سبق سقوط الخلافة بحوالي تسعين سنة إلى يومنا هذا.

ففي نظر كل الماديين من العلمانيين سواء الغربيين أو المستغربين، يوجد مانعان اثنان من تطبيق الشريعة الإسلامية، المانع الأول: العلم، لكن ليس أي علم بل العلم بمفهومهم المادي، والثاني: الثقافة لكن ليس أي ثقافة بل تلك التي تبنى على أساس "حقوق الإنسان".

والسؤال المتبادر لذهن كل مطلع على هذا الجدل المفتعل هو:

من وضع منهاج هذا العلم وما هي أسسه؟

فنظرية "المادية الجدلية" -مثلا- التي يُحكِّمُها العلمانيون في نصوص الكتاب والسنة ليبطلوها بزعمهم، واضعها هو "كارل ماركس" يهودي من سلالة الحاخامات، أكملها بعد موته اليهودي الثاني "إنجلز" ليتلقفها عنهما بعد ذلك "لينين" و"ستالين" محاولين إخضاعها للتطبيق معتمدين على حيوانية نظرية "داروين" وشهوانية نظرية "فرويد".

ولكون الشعوب التي أزمعوا إخضاعها لهذه النظريات المادية كانت شعوبا تدين إما بالإسلام أو بالنصرانية فقد حرص البلاشفة على إمعان تجويع الناس وتقتيلهم حتى تصير نظريتهم واقعا ملموسا في أرض القيصر المسيحي "روسيا" وأجزاء كبيرة من أراضي الخلافة العثمانية الإسلامية، وبقوة الحديد والنار مُكِّن لهم.

ومن تم ستنتقل تلك النظرية إلى أغلب بلدان العالم الإسلامي لتشكل أُسَّ معارضة العلمانيين الاشتراكيين والقوميين للحكم فيها والذين ما فتئوا يشككون المسلمين في دينهم ومعتقداتهم، وبعد أفول نجم الاتحاد السوفييتي، سيخلع الماركسيون واللينينيون معاطفهم المادية ليرتدوا معاطف الليبرالية وثقافة "حقوق الإنسان".

لقد أصبح من المقرر عند كل منصف أن الغرض من ترويج ذلك العلم وتلك الثقافة على التفصيل السابق كان الغرض منه إضعاف الواجب الديني لدى المسلمين والأدلة على ذلك كثيرة وظاهرة من كلام من كان يرسم أو يمارس تطبيق سياسة الاستعمار في البلدان الإسلامية، ولكن العلمانيين كعادتهم يصمون آذنهم عن الحقائق عندما لا تخدم علمانيتهم، وفي هذا الإطار يندرج ما كتبه "جبريال مورا" عن مقاومة الشعب المغربي للتدخل الأوربي حيث دعا إلى إلغاء "القانون القرآني" وفصل المغاربة عن الشريعة الإسلامية، إذا أراد الأوربيون أن يدخلوا للمغرب سلميا ودون مقاومة، بل أشار صراحة إلى قلع الإسلام من المغرب[1]، ويندرج كذلك كل الإجراءات التي اتخذها المستعمرون في مجال التعليم والثقافة خلال مدة جثومهم على صدور المسلمين.

إن هذا الهجوم يتطلب من الباحثين خصوصا المشتغلين في ميدان التاريخ أن ينبشوا أرشيفات الدول المستعمرة التي رفعت عنها السرية ويخضعوها للبحث والدراسة، وأن يعملوا على مقارنة مادتها بمطالب المنظمات الحقوقية الضاغطة على حكومات الدول الإسلامية، لأن كافة المؤشرات تدل على أن الهدف واحد وهو تبعية المسلم وإفقاره والفصل بينه وبين التمسك بدينه.

1-Gabrial Maura. La question marocaine au point de vue Espagnol. traduit de L espagnol par henri Blan-chard.challamel. Paris 1911.p.186 et 197.

السبيل

قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل

منهج القرآن في أمر المؤمنين وخطابهم بالأحكام الشرعية

قد أمر الله تعالى بالدعاء إلى سبيله بالتي هي أحسن، أي بأقرب طريق موصل للمقصود، محصل للمطلوب، ولا شك أن الطرق التي سلكها الله في خطاب عباده المؤمنين بالأحكام الشرعية هي أحسنها وأقربها.

فأكثر ما يدعوهم إلى الخير وينهاهم عن الشر بالوصف الذي مَنَّ عليهم به وهو الإيمان، فيقول: يا أيها الذين آمنوا افعلوا كذا واتركوا كذا لأن في ذلك دعوة لهم من وجهين:

أحدهما من جهة الحث على القيام بلوازم الإيمان، وشروطه ومكملاته، فكأنه يقول: يا أيها الذين آمنوا قوموا بما يقتضيه إيمانكم من امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، والتخلق بكل خلق حميد والتجنب لكل خلق رذيل .

فإن الإيمان الحقيقي هكذا يقتضي، ولهذا أجمع السلف أن الإيمان يزيد وينقص، وأن جميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة من الإيمان ولوازمه، كما دلت على هذا الأصل الادلة الكثيرة، من الكتاب والسنة ـ وهذا أحدها ـ حيث يصدر الله أمر المؤمنين بقوله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" أو يعلق فعل ذلك على الإيمان، وأنه لا يتم الإيمان إلا بذلك المذكور.

والوجه الثاني أن يدعوهم بقوله "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" افعلوا كذا، أو اتركوا كذا، أو يعلق ذلك بالإيمان، يدعوهم بمنته عليهم بهذه المنة، التي هي أجل المنن، أي: يا من مَنَّ الله عليهم بالإيمان، قوموا بشكر هذه النعمة، بفعل كذا وترك كذا .

فالوجه الأول: دعوة لهم أن يتمموا إيمانهم، ويكملوه بالشرائع الظاهرة والباطن .

والوجه الثاني: دعوة لهم إلى شكر نعمة الإيمان، ببيان تفصيل هذا الشكر، وهو الانقياد التام لأمره ونهيه، وتارة يدعوا المؤمنين إلى الخير، وينهاهم عن الشر، بذكر آثار الخير، وعواقبه الحميدة العاجلة والآجلة، وبذكر آثار الشر، وعواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة .

وتارة يدعوهم إلى ذلك بذكر نعمه المتنوعة، وآلائه الجزيلة، وإن النعم تقتضي فهم القيام بشكرها، وشكرها هو القيام بحقوق الإيمان .

وتارة يدعوهم إلى ذلك بالترغيب والترهيب، ويذكر ما أعد الله للمؤمنين الطائعين من الثواب وما للعصاة من العقاب .

وتارة يدعوهم إلى ذلك بذكر ما له من الأسماء الحسنى، وما له من الحق العظيم على عباده، وأن حقه عليهم أن يقوموا بعبوديته ظاهراً وباطناً، ويتعبدوا له وحده، ويدعوه بأسمائه الحسنى وصفاته المقدسة .

فالعبادات كلها شكر لله وتعظيم وتكبير، وإجلال وإكرام، وتودد إليه، وتقرب منه.

وتارة يدعوهم إلى ذلك، لأجل أن يتخذوه وحده ولياً وملجأ، وملاذا ومَعاذا، ومفزعا إليه في الأمور كلها، وينيبوا إليه في كل حال، ويخبرهم أن هذا هو أصل سعادة العبد وصلاحه وفلاحه، وأنه إن لم يدخل في ولاية الله وتوليه الخاص، تولاه عدوه الذي يريد له الشر والشقاء، ويمنيه ويغره، حتى يفوِّته المنافع والمصالح ويوقعه في المهالك .

وهذا كله مبسوط في القرآن بعبارات متنوعة .

وتارة يحثهم على ذلك ويحذرهم من التشبه بأهل الغفلة والإعراض، والأديان المُبَدَّلة، لئلا يلحقهم من اللوم ما لحق أولئك الأقوام . كقوله "وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" [الزمر:65] "فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ" [البقرة:35] "وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ" [لأعراف:205] "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ" [الحديد:16]، إلى غير ذلك من الآيات .

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

قانون فرنسي جديد يحدّ من المظاهر الإسلامية بالمؤسسات العامة



شرعت فرنسا في إقرار قانون جديد، من شأنه الحد من المظاهر الإسلامية في المؤسسات العامة الفرنسية، قدمه المجلس الأعلى للاندماج إلى رئيس الوزراء "دومينيك دوفيلبان".

وبحسب وكالة "آكي" الإيطالية، من شأن الميثاق الجديد الحد بشكل خاص من المظاهر المتعلقة بالديانة الإسلامية في المؤسسات العامة، وخاصة في المستشفيات.

حيث أشار تقرير حول المستشفيات في العام الماضي إلى كثير من الحالات التي تتعارض مع القوانين الفرنسية، كمطالبة بعض المسلمين بغرف خاصة للنساء المحجبات، ومنع الرجال من الدخول إليها.

وُيذكّر الميثاق الموجّه إلى المؤسسات العامة موظفي الدولة صراحة بأن "حرية الاعتقاد مضمونة، وخاصة فيما يتعلق باحتمال منحهم إذن غياب بمناسبة أعياد دينية تخصهم".

وشدد ميثاق العلمنة هذا، على ضرورة الابتعاد عن كل أشكال ما يسمى التطرف الديني، ومحذرًا من مطالبة البعض بأقلمة آليات عمل المؤسسات العامة، وفق معتقداتهم.

جدير بالذكر، أن ما يجري في فرنسا من تضييق حول الحجاب وغيره من المظاهر الإسلامية، ما هو إلا تعبير عن أزمة ثقافية عميقة بين العلمانية والتحولات الجديدة التي فرضها تنامي الوجود الإسلامي، وأبرزها أن الإسلامي لم يعد مهاجرًا في فرنسا، بل هو مواطن يبحث عن حقوقه الكاملة، ويسعى للاندماج في البنية الثقافية والاجتماعية دون أن يذوب، بل ليكون أحد مكوناتها.

ولعل هذا ما جعل حراس العلمانية في حالة قلق من هذا التطور النوعي الجديد، ودعوتهم لكتابة نصوص تحفظ العلمانية، ويقيمون مرصدًا للعلمانية، وهو ما يؤكد أن الإسلام، تجاوز مستويات القلق على مستقبله، لأن العلمانية الفرنسية هي التي أشهرت أسلحتها، وتركن خلف مبادئ تنذر وتهدد الزحف الإسلامي الحضاري الهادئ على حصونها ومعبدها.

سعودية تكتشف علاجا للسرطان



توصل فريق طبي سعودي في مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث بالرياض برئاسة د. خولة الكريع لاكتشاف "جين" ربما قد يكون مسئولا عن نمو وتسارع الخلايا السرطانية لسرطان الغدد اللمفاوية، الاكتشاف: كما أفادت وكالة الأنباء السعودية، قد يؤدي إلي إبطال تأثير "جين اي كي تي" مخبريا، وقد قام الأطباء بتسجيل نشاط الـ"جين" وقدرته علي إعطاء الأوامر للخلايا بالتكاثر، وتمكنوا من إيقاف نشاط الـ"جين" بإدخال مركب كيميائي وفي خلال 24 ساعة تبدأ الخلية بالانكماش ثم الموت، نتائج البحث لاقت قبولا بين الأوساط العلمية لأنها تفتح الأمل أمام المرضى الذين لا يتجاوبون مع العلاج الكيميائي التقليدي.

60 % من كهنة "بولندا" يطالبون بحقهم في الزواج

طالب 60% من الكهنة الكاثوليك الرومان في "بولندا"،



والتي يغلب عليها المذهب الكاثوليكي منحهم حق الزواج وتكوين أسرة، مثل أي فرد طبيعي.

وذكرت صحيفة "تيجودنيك بوفتشيني" الأسبوعية البولندية التي يقرأها المثقفون الكاثوليك في بولندا أنه مع تغير الزمن وتضاؤل المكانة الاجتماعية والاحترام لمسألة الكهانة، فإن المزيد من الكهنة الذين يشعرون بالوحدة والعزلة ويساء فهمهم يفكرون في ترك الكهانة.

وجاء في الصحيفة نقلاً عن إحصائيات الفاتيكان أيضًا أن المزيد من الكهنة البولنديين قرروا ترك الكهانة، وقد ترك 32 كاهنًا منصبه في عام 1998م بينما ارتفع هذا الرقم ليصل إلى 57 كاهنا في عام 2004.

وقد أكدت إحدى الدراسات التي لم تنشر بعد، أن ثلث الكهنة الشبان الذين يتركون الكهانة يفعلون ذلك من أجل امرأة.

وصرح "ياسيك بروساك" أحد الرهبان اليسوعيين، وهو أحد علماء النفس للصحيفة الكاثوليكية: "ليس كل واحد يمكن أن يتواءم مع حقيقة أنه بداية القرن الحادي والعشرين لم يعد هناك اعتبار للكهنة، كما كان الكاهن الذي عرفوه في شبابهم.

وتعتبر الفضائح الجنسية المخجلة التي ارتكبها القساوسة في أكثر من بلد غربي وعربي، خطرًا حقيقيًا يهدد الكنيسة بجميع طوائفها، وأصبحت الكنيسة في مأزق تحاول أن تعالج هذا الانحراف الفطري والذي استمر لعقود طويلة حين حرَّمت الكنيسة الزواج على رجالها، فلم يجد القساوسة والرهبان إلا الممارسات الجنسية المحرمة والشذوذ الجنسي، ولو مع الأطفال كوسيلة لاستعادة التوازن الفطري المفقود.

وجدير بالذكر أنه قد قامت مؤسسة "ماجدالا" الهولندية مسبقًا -وهي مؤسسة دينية- بإجراء بحث عن رفض القساوسة الكاثوليك للتبتل (العزوف عن الزواج) وأجمع الكثير منهم على أن هذه المسألة شائكة مؤلمة وشديدة التعقيد بالنسبة لهم.

وحسب جمعية "ماجدالا" الهولندية اعترفت مائتا امرأة أنهن يقمن علاقات سرية بقساوسة، ومن المعروف أن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية تحرم الزواج على القساوسة.

ركبت الحافلة خطأ فضلت الطريق 25 عاما

عادت سيدة تبلغ من العمر 76 عاما من جنوب تايلاند إلى أسرتها، بعدما ركبت الحافلة خطأ، وضلت الطريق 25 عاما.

وذكرت تقارير إعلامية أن "جايانا بوراهينج" كانت التي تقطن بإقليم "ناراثيوات" في أقصى جنوب تايلاند، وتتحدث لغة "الملاي" تزور زوجها في ماليزيا منذ 25 عاما، وفي طريق عودتها استقلت حافلة خطأ، نقلتها إلى بانكوك، بدلا من بلدتها.

وفي بانكوك استقلت "جايانا" -التي لم تكن تجيد كتابة أو قراءة اللغة التايلاندية- الحافلة خطأ مرة أخرى، لتنقلها إلى مدينة "تشيانج ماي" على بعد 1340 كلم شمال "ناراثيوات"، حيث قضت خمسة أعوام، وهي تقوم بالتسول من أجل البقاء على قيد الحياة.

وذكرت صحيفة "ذا نيشن" التايلندية أن السلطات اعتقلت "جايانا" عام1987 وانتهى بها المطاف في مركز للخدمة الاجتماعية في مدينة "فيتسانولوك"، حيث ظلت هناك حتى عادت إلى عائلتها مؤخرا.

واكتشف ثلاثة متدربين بالمركز ممن يتحدثون لغة "الملاي" من إقليم "ناراثيوات" قصة "جايانا"، واتصلوا بأفراد أسرتها، كي يأتوا لاصطحابها إلى بلدتها مرة أخرى.

إيقاف 11 مدرسًا بالجزائر عن عملهم بسبب نشرهم التشيع بين الطلاب..



أوقفت وزارة التربية الجزائرية 11 مدرسًا شيعيًا - في عدد من المدارس الحكومية- عن التدريس، بتهمة نشر الفكر الشيعي بين التلاميذ، في حادثة تُعد الأولى من نوعها، منذ بدء تداول الحديث عن "تشيع سري في البلاد" قبل سنوات قليلة.

وأشارت بعض الأنباء، أن الإيقاف لم يتعد إحالة هؤلاء المدرسين إلى مناصب إدارية، حتى لا يكون لهم تأثير على الطلاب، في حين تحفظت وزارة التربية على تأكيد الخبر أو نفيه، بحسب وكالة الأخبار "نبأ".

وصرح المستشار الإعلامي لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف "عبد الله طمين" - تعليقًا منه على إحالة المدرسين الـ 11 لمناصب إدارية - أن وزارة التربية قامت بالواجب من خلال هذا القرار.

و أضاف "عبد الله طمين" أن: "الجزائر ترفض استيراد الفكر الشيعي، حتى لا تحدث فتنة دينية، كتلك الحاصلة في عدد من الدول العربية".

وحول إمكانية انتشار عقيدة الشيعة الروافض بين الجزائريين، قال طمين: "التنصير لم ينجح في تحقيق مكاسب له في الجزائر، فما بالك بتيارات أخرى".

على الجانب الآخر، صرح المشرف العام على "شبكة شيعة الجزائر" الذي يسمي نفسه "محمد العامري"، أن التشيّع في الجزائر مستمر، بل منفجر في كامل أرجاء التراب الجزائري، متنقلاً عبر كل الطبقات الاجتماعية، على حد زعمه.

جدير بالذكر أن التوقيف، يأتي على خلفية قيام أولياء أمور تلاميذ في مدينة الشريعة، من ولاية "تبسة" الجزائرية، بتقديم شكوى للمسؤولين التربويين، لمواجهة الأفكار الدخيلة على أبنائهم، نتيجة وجود بعض المدرسين الحاملين للفكر الشيعي، ويعملون على نشره بين التلاميذ.

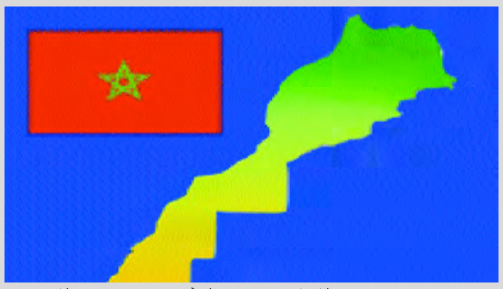
وأكد أولياء الأمور أن بعض الأساتذة يعمدون إلى تمرير معتقدات وتوجهات شيعية، تقوم على الطعن في بعض الصحابة، وشتمهم.

وطالب أولياء الأمور -في الشكوى- بضرورة التدخل بسرعة، لإنقاذ الناشئة، وإبعاد المؤسسات التربوية عن الأفكار المخالفة لمذهب أهل السنة، والذي عليه إجماع أهل الجزائر.

وللعلم فإن المذهب المالكي هو السائد في الجزائر، بنسبة تفوق الـ 90 من مجموع الجزائريين، البالغ عددهم 34 مليونًا، على باقي المذاهب الفقهية الأخرى، ويدينون بعقيدة أهل السنة والجماعة، ويجلون جميع الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

إطلاق موقع الكتروني جديد للتنصير بالدارجة المغربية



كشفت يومية العلم، عن إطلاق موقع إلكتروني جديد للتنصير في المغرب، يعتمد على اللهجة العامية المغربية، مشيرة إلى أن النشاط التنصير في ازدياد مستمر، وجاء في المقال الذي نشرته نفس الجريدة أن: "..أحد الشباب المغاربة، يقدم دينه الجديد الذي اعتنقه، وهو الدين المسيحي متنكرا ومتبرئاً من الدين الإسلامي، باللغة العامية"، مضيفة أن هذا الشاب واحد من عشرات الشباب المغاربة الذين ينشرون النصرانية بين المسلمين، بعد اعتناقهم النصرانية.

وتؤكد الجريدة أن الآلة التنصيرية في المغرب "تشتغل بنشاط، مُستغلة بذلك عوز الناس وفقرهم وحرمانهم، دخلت الداشر والقرى، والجبال والهضاب، مسخرة خطابا تنصيريا بسيطا، وأساليب إقناع توقع بسرعة بضحاياها".

ثم إن "هؤلاء التنصيريون يتحركون بيننا، ويدخلون حدودنا الترابيّة براً وبحراً، مُحملين بآلاف النسخ من الإنجيل، ويقصدون أهدافهم بكل حرية".

وتؤكد الجريدة أن التنصيريون "أطلقوا موقعا إلكترونيا باللغة العربية، يقدم شهادات حية بالصوت لمغاربة غيروا دينهم إلى المسيحية، ويتحدثون عن دينهم الجديد، وعن المسيح بالعامية المغربية ويتم الترويج لهذا الموقع بكثافة عبر شبكة الإنترنيت".

منع استعمال الهواتف النقالة داخل المؤسسات التعليمية



منعت عدة مؤسسات تعليمية في المغرب التلاميذ من استعمال الهواتف النقالة داخل هذه المؤسسات، بل وعدم حملها معهم بالمرة وعلقت ثانوية ابن خلدون بالرباط مذكرة لوزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي تمنع التلاميذ من استعمال الهواتف النقالة في المؤسسات التعليمية. وذكر مصدر تعليمي أن تاريخ المذكرة يعود إلى سنة 2000، وأن تفعيلها لم يتم إلا أخيرا أي بعد سنوات، وتهيب المذكرة بالنواب والمديرين والأساتذة بعدم استعمال الهاتف النقال في الحجرات الدراسية ومنع استعماله داخل المؤسسة وحجزه إلى حين إرجاعه إلى أولياء أمور التلاميذ.

ويذكر أن الهاتف النقال يربك العملية التعليمية ويشوش على التلاميذ في الفصول الدراسية، كما أنه يستعمل أحيانا كوسيلة للغش في الامتحانات.

المغرب يحتل المركز الرابع في قطاع الصناعات التحويلية عربيا

أظهر التقرير السنوي الصادر عن المنظمة العربية للتنمية الصناعية أن المغرب احتل المركز الرابع في قطاع الصناعات التحويلية حيث تساهم بنحو 83% من الناتج العربي، فيما تصدرت السعودية الدول العربية بنحو 28.4% وكما أوردت صحيفة الشرق الأوسط فقد تليتها الإمارات التي تساهم بنسبة 16% ثم مصر 14،3%.

وعن إجمالي الناتج المحلي لقطاع الصناعة العربي فقد بلغ حوالي 517.8 مليار دولار في عام 2006، مقارنة بـ 380.8 مليار دولار في عام 2005 بمعدل نمو 36%، وأشار تقرير المنظمة إلى أن مساهمة الناتج الصناعي في الناتج المحلي الإجمالي للدول العربية بلغت نحو 48.6% مقارنة بنسبة 43.3% في عام 2004،وبرر التحسن باستمرار الزيادة في أسعار النفط وزيادة الطلب العالمي عليه.

ولاحظ التقرير أن ناتج الصناعة الاستخراجية بلغ في عام 2005 حوالي 413.4 مليار دولار بنسبة زيادة بنحو 43% عن العام السابق، وساهمت الصناعة الاستخراجية في الناتج المحلي الإجمالي للدول العربية ككل بحوالي 38.3% بالمقارنة مع حوالي 32.9% في عام 2004.

وذكر أن حصة الصناعة الاستخراجية في الناتج المحلي الإجمالي تفاوتت من دولة عربية إلى أخرى وكانت - بطبيعة الحال- أكبر في الدول العربية المصدرة الرئيسية للنفط، وتراوحت ما بين صفر في لبنان ونصف بالمائة في جيبوتي الى81.7% في العراق.



تشدين خط ثان للكهرباء بين المغرب وإسبانيا



أعلنت الشركة الكهربائية الإسبانية عن تشدين خط ثان للكهرباء بين المغرب وإسبانيا يوم 6 مارس عبر مضيق جبل طارق، وأكدت أن هذا الخط الكهربائي ينضاف إلى خط ثان أقيم منذ سنوات في المضيق ويعتبر الربط الكهربائي الوحيد الذي يوجد حتى الآن بين قارتين.

وتؤكد الشركة أن الخط الثاني سيعمل على تعزيز الطاقة الكهربائية بين المغرب وإسبانيا، وكذلك مع جنوب أوروبا، وخاصة في وقت الأزمات مثل وقوع انقطاعات كهربائية والتي تعاني منها إسبانيا في الصيف.

وسيتزامن تدشين الخط مع القمة المغربية الإسبانية التي سيحتضنها المغرب يومي 5 و6 مارس.

ارتفاع مستعملي القطار في المغرب بنسبة 12 %



أعلن المكتب الوطني للسكك الحديدية، أنه قام خلال السنة الماضية بنقل5,23 مليون مسافر، مسجلا بذلك ارتفاعا بنسبة 12 % مقارنة مع سنة 2005.

وأوضح المكتب في بلاغ نشر عقب المجلس، الذي ترأسه وزير التجهيز والنقل كريم غلاب، أنه نقل أيضا 8 ملايين طن من السلع و27 مليون طن من الفوسفاط ومشتقاته.

واعتبر كريم غلاب في تصريح للصحافة أن النتائج التي سجلها المكتب خلال سنة 2006 تعكس استمرار مستوى النمو مما يؤكد فعالية الخيارات التي تم اعتمادها في هذا المجال.

وأضاف أن هذه النتائج تمكن المقاولة السككية من مواصلة تحقيق مشاريعها الاستثمارية الطموحة، موضحا أن المشاريع الأولى، التي تهم تثنية الخط السككي بين مكناس وفاس وتشغيل أولى القطارات ذات طابقين.

وبخصوص توقعات سنة 2007، فإن المكتب يعتزم مواصلة برنامجه الاستثماري من خلال تخصيص 5 ملايير درهم لهذا الغرض.

يهم هذا الغلاف بالأساس مواصلة مشاريع البنية التحتية الكبرى الرامية إلى تأهيل الشبكة والرفع من طاقتها، خاصة مشاريع رحلات القطار بميناء طنجة المتوسط وتاوريرت ـ الناظور.

أَلسَّبِيل
جريدة أسبوعية مستقلة شاملة
تصدر مرة في الشهر مؤقتا
الإيداع القانوني: 2005/0096
ملف الصحافة: 2 ن د 2004
رئيس التحرير:
إبراهيم الطالب
هيئة التحرير:
حماد القباج-رشيد مومن الإدريسي
نبيل غزال-علي نجم
أحمد السالمي-إبراهيم الوزاني
المسؤول المالي:
إبراهيم بيدون
قسم التوزيع:
ياسين حيسونة
العنوان: ص.ب 2177 سلا باب شعفة-سلا
الهاتف: 037.78.17.17
البريد الإلكتروني: assabil1@yahoo.fr
السحب: صفابرانت
التوزيع: شركة سبريس

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

مفاهيم يجب أن تصحح

رشيد مومن الإدريسي

عدم العلم بالدليل ليس علما بالعدم وجهلك بالشيء لا يعني نفيه

من القواعد العلمية المنطقية العقلية، قاعدة: "**عدم العلم بالدليل ليس علما بالعدم**" انظر: الرد على المنطقيين100، ورفع الملام 62، كلاهما لابن تيمية، ومناظرة في الرد على النصارى 2726 للرازي.

فكثير من المتناظرين يجعل عمدته في نفي وجود أمر ما عدم علمه بالدليل على وجوده، مع أن الأصل: أن عدم العلم بالدليل ليس علما بالعدم كما تقرر القاعدة،وعدم الوجدان ليس نفيا للوجود، فكما أن الاثبات يحتاج إلى دليل، فكذلك النفي يحتاج إلى دليل، وإلا فما لم يعلم وجوده بدليل معين، قد يكون معلوما بأدلة أخرى، فمثلا: عدم الدليل العقلي على وجود أمر ما لا يعني عدم وجوده، لأنه قد يكون ثابتا بالدليل السمعي أو غيره، إلا أنه ينبغي أن يعلم أن هذه القاعدة ليست مطردة على حد قول أهل العلم: "**من القواعد عدم اطراد القواعد**"، وعدم الانتباه إلى ذلك أدى بالبعض إلى الفهم الخاطئ للقاعدة، ووضعها في بعض الحالات التي لم تُقرَّر القاعدة من أجلها كالقول بمشروعية بعض العبادات استنادا إلى عمومات النصوص الشرعية في ذلك **مع أن تلك العبادة بعينها لم يجر عليها عمل السلف الصالح، والدواعي متوفرة على نقلها لو كانت حاصلة واقعة**، فإذا أتى من ينص على بدعية صفة تلك العبادة -مثلا- استنادا إلى أنها لم تنقل يرد عليك من يرد بقوله: "**عدم العلم بالدليل ليس علما بالعدم**"!

يقول ابن القيم رحمه الله مقررا تفصيلا بديعا فيما نقله الصحابة رضي الله عنهم لتركه صلى الله عليه وسلم: "أما نقلهم لتركه عليه الصلاة والسلام فهو نوعان، **وكلاهما سنة**:

أحدهما: تصريحهم بأنه ترك كذا وكذا ولم يفعله...كقوله في صلاة العيد: "لم يكن أذان ولا إقامة ولا نداء"...ونظائره.

والثاني: عدم نقلهم لما لو فعله لتوفرت هممهم ودواعيهم أو أكثرهم أو واحد منهم على نقله، فحيث لم ينقله واحد منهم البتة، ولا حدث به في مجمع أبدا علم، أنه لم يكن" إعلام الموقعين2/389-390.

وعليه نقول: أن القاعدة صحيحة، لكن يستثنى منها ما إذا توفرت الدواعي على نقل شيء ما ولم ينقل، فالأمر يكون على خلاف القاعدة فتأمل.

وقد قرر ذلك شيخ الإسلام رحمه الله حيث قال: "وليس لقائل أن يقول: عدم الدليل القطعي على على الوعيد دليل على عدمه، كعدم الخبر المتواتر على القراءات الزائدة على ما في المصحف، لأن عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول عليه.

ومن قطع بنفي شيء من الأمور العلمية بعدم الدليل القاطع على وجودها كما هو طريقة طائفة من المتكلمين، فهو مخطئ خطأ بينا.

لكن إذا علمنا أن وجود الشيء مستلزم لوجود الدليل، وعلمنا عدم الدليل، قطعنا بعدم الشيء المستلزم، لأن عدم اللازم دليل على عدم الملزوم.

وقد علمنا، أن الدواعي متوفرة على نقل كتاب الله ودينه، فإنه لا يجوز على الأمة كتمان ما يحتاج الناس إلى نقله حجة عامة، فلما لم ينقل نقلا عاما صلاة سادسة، ولا سورة أخرى، علمنا يقينا عدم ذلك" رفع الملام 62.

هل الأخذ بظواهر النصوص الشرعية يعد ظاهرية وجمودا وسطحية وتحجرا؟

يسم كثير من أهل الأهواء والبدع من العقلانيين والعلمانيين وغيرهم ممن لا فهم لهم دقيق أهل السنة -طعنا فيهم- بالظاهرية الجدد أو الحرفية في الفكر والنظر، لأجل تمسكهم بظواهر نصوص القرآن والسنة وجعل ذلك هو الأصل، وعدم أخذهم بروح النص كما زعموا!

ومن العجيب أن بعض من ينتسب إلى الدعوة يدعي أن هذا المسلك الذي سار عليه أهل السنة هو الذي ذمه العلماء على الظاهرية قديما!

وهذا من الخلط بين المفاهيم، ووضع بعضها موضع الآخر دون نظر وتدقيق، مما يدل على أن قائل ذلك: لا يعرف حقيقة مذهب الظاهرية، وما الذي رده العلماء عليهم؟، وما الذي ذموه في مسلكهم؟.

فنقول بيانا:

قرر العلماء رحمهم الله في هذا الصدد أن الأصل: هو الأخذ بظاهر النصوص إلا بقرائن ملزمة، قال ابن القيم رحمه الله: "الواجب حمل كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وحمل كلام المكلف على ظاهره الذي هو ظاهره،وهو الذي يقصد من اللفظ عند التخاطب، ولا يتم التفهيم والفهم إلا بذلك، ومدعي غير ذلك على المتكلم القاصد للبيان والتفهيم كاذب عليه" إعلام الموقعين3/108-109.

وقال الشنقيطي رحمه الله: "**قد أجمع جميع المسلمين على أن العمل بالظاهر واجب حتى يرد دليل شرعي صارف عنه، إلى المحتمل المرجوح وعلى هذا كل من تكلم في الأصول**" أضواء البيان 443/7.

وبناء عليه فكل ما ورد عن الأئمة في عدم الأخذ بظواهر بعض النصوص فذلك لمعارض ظهر لهم فتنبه.

ومن أمثلة ذلك ما بينه الذهبي رحمه الله في السير حيث قال: "قال أحمد بن حنبل: بلغ ابن أبي ذئب أن مالكا لم يأخذ بحديث "البيعان بالخيار" فقال: يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه. ثم قال أحمد: هو أورع وأقول بالحق من مالك.

قلت (أي: الذهبي): لو كان ورعا كما ينبغي لما قال هذا الكلام القبيح في حق إمام عظيم **فمالك إنما لم يعمل بظاهر الحديث لأنه رآه منسوخا**.." السير 7/142-143.

أما الظاهرية التي ذمها العلماء على أصحابها: أن يهجم المستدل على النصوص ويقطع بالحكم بها ببادئ النظر، اعتقادا منه أنه هو ظاهر النص ومقتضى اللغة دون طلب تفسير الصحابة والسلف،ودون مراعاة مقاصد الشرع ومحكماته.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "الاحتجاج بالظواهر مع الإعراض عن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه طرق أهل البدع" الفتاوي 375/7.

ومن معالم الظاهرية المبتدعة- كذلك-: الجمود على ظاهر لفظ النص دون مراعاة المعنى المقصود منه وإبطال دليل القياس تعيينا، إلى غير ذلك. انظر إعلام الموقعين 344/1.

قال الشاطبي رحمه الله: "اتباع ظواهر القرآن على غير تدبر ولا نظر في مقاصده ومعاقده والقطع بالحكم ببادئ الرأي والنظر الأول، وهو الذي نبه عليه قوله في الحديث: "يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم" ومعلوم أن هذا الرأي يصد عن اتباع الحق المحض ويضاد المشي على الصراط المستقيم، ومن هنا ذم بعض العلماء رأي داوود الظاهري وقالوا: إنها بدعة ظهرت بعد المائتين" الموافقات 179/4.

وقال أبو حيان الأندلسي: "محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه".

قال الشوكاني في البدر الطالع 290/2 معلقا على كلمة أبي حيان الأندلسي: "لقد صدق أبو حيان في مقاله، فمذهب الظاهر هو أول الفكر وآخر العمل عند من منح الانصاف، **ولم يرد على فطرته ما يغيرها عن أصلها وليس هو مذهب داوود الظاهري وأتباعه فقط، بل مذهب أكابر العلماء المتقيدين بنصوص الشرع من عصر الصحابة إلى الآن، وداوود واحد منهم، وإنما اشتهر عنه الجمود في مسائل وقف فيها على الظاهر حيث لا ينبغي الوقوف وأهمل من أنواع القياس ما لا ينبغي لمنصف إهماله.**

وبالجملة فمذهب الظاهر هو العمل بظاهر الكتاب والسنة بجميع الدلالات وطرح التعويل على محض الرأي الذي لا يرجع إليهما بوجه من وجوه الدلالة.

وأنت إذا أمعنت النظر في مقالات أكابر المجتهدين المشتغلين بالأدلة وجدتها من مذهب الظاهر بعينه، بل إذا رزقت الانصاف وعرفت العلوم الاجتهادية كما ينبغي، ونظرت في علوم الكتاب والسنة حق النظر كنت ظاهريا، أي: عاملا بظاهر الشرع منسوبا إليه لا إلى داوود الظاهري، فإن نسبتك ونسبته إلى الظاهر متفقة، وهذه النسبة هي مساوية للنسبة إلى الإيمان والإسلام، وإلى خاتم الرسل عليه أفضل الصلوات والتسليم، وإلى مذهب الظاهر بالمعنى الذي أوضحناه..." اهـ.

وصفوة الكلام في هذا الباب، وفصل النزاع في قضية الأخذ بالظاهر **التفريق بين ما يظهر للإنسان وبين ظاهر كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فالأول قد يكون متوهما.**

قال شيخ الإسلام: "ولفظ الظاهر يراد به ما قد ظهر للإنسان، وقد يراد به ما يدل عليه اللفظ، فالأول يكن بحسب فهم الناس، وفي القرآن ما يخالف الفهم الفاسد شيء كثير" منهاج السنة 179/4.

وقال أيضا: "فكل ما بينه القرآن وأظهره فهو حق، بخلاف ما يظهر للإنسان بمعنى آخر غير نفس القرآن يسمى ظاهر القرآن، كاستدلالات أهل البدع من المرجئة والجهمية والخوارج والشيعة" الفتاوي 375/7.

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

فجرتم الجزائر وتوعدتم المغرب.. ماذا تريدون؟!
التفجيرات التخريبية: معروف أم منكر؟!
(تقرير شرع ونقد واقع)

بقلم: حمّاد القباج

وهكذا يضيع فقه حكم شرعي بين غلاة العلمانيين الذين يدعون إلى حذف نصوص الجهاد، وغلاة المتدينين الذين يتذرعون بها في أفعالهم المنكرة، وهذه نتيجة حتمية لتغييب دور العلماء في التعليم والدعوة.

التطرف: نبتة سوء نبتت وترعرعت في أوحال واقع مظلم.

زرع بذورها أناس عقُّوا العلماء، وجارَوا السفهاء، ولم يلتزموا السَّنَنَ القويم والصراط المستقيم للتغيير والإصلاح.

أصاغر قلدهم من لا يعرف، وأُعجب بهم من لا يفقه، واستجاب لنعيقهم من جهل جهلا مركبا.

يعزفون على أوتار الجهل، ويركبون ثبج العواطف.

فأفسدوا من حيث ظنوا أنهم يصلحون، وهدّموا ظانين أنهم يبنون:

رام نفعا فأضر من غير قصد ومن البرِّ ما يكون عقوقا

لقد سار علماء الأمة الأبرار، حماة الملة وحملة الدين في درب التغيير والإصلاح؛ على خطى حثيثة، وخطوات رشيدة، وإن كانت بطيئة المفعول، لكنها تشق طريقا لا تغطيه الرمال، ولا تشقه الزلازل.

ووقف أعداء الإسلام مدهوشين من آثار دعوتهم، وثمار جهادهم المشروع، التي تمكنت من اختراق صفوفهم في معركة دعائية إغرائية ملك فيها الأعداء أعتى الأسلحة وأقوى العتاد وأكبر العدد، سلاحهم الإعلام، وخطتهم الإغراء والإغواء، وقادتهم الميدانيون: منافقو الأمة وخونة دينها.

ومع ذلك فشلوا وخابوا، وارتفعت راية السنة والتوحيد على أنقاض غير قليل من تلك المعارك، فأنذرهم فشلهم بقرب أفول نجمهم، وذهاب ريح كيدهم، ورأوا أن حرب النفاق، والتخريب من الداخل لم تعد تجدي، ولن تؤدي في المستقبل دورها كما كانت.

فانتقلوا إلى الحرب المعلنة التي كشفوا فيها القناع، ورفعوا فيها اللثام؛ عن أنيابٍ سالت بريق البغضاء، وأعيُن احمرّت بدماء الحقد والكراهية...

لكنهم كانوا أعقل من الأولين في التخطيط؛ حيث وضعوا ثوبا خفيفا وارتدَوْا لباسا رقيقا، لا يخفي ما تحته إلا عن الأعشى، ولا يحجب ما وراءه إلا عن ضعيف البصر؛ الذي يرى الواحد فوق دابة عشرة، ويحسب وحيد القرن بقرة!

فأوعزوا من قل علمه وضعف فقهه للبدئ بسفك الدماء والسطو على البلاد والعباد، ليتذرعوا بذلك لبطش بطشتهم، وإرواء غليلهم، وقام العلماء بواجب التحذير ونهوا المتحمسين الذين يتحركون بعواطفهم عن ردود الأفعال الطائشة..، لكن غرهم الغرور؛ فعصوا علماءهم ورموا بعضهم بالعمالة وبعضهم بجهل فقه الواقع وقصور العلم، وأقدموا على أفعالهم المنكرة، وكانوا بذلك كلاعب الشطرنج الغبي الذي يأكل بيدقا ويضحي من أجله بالملك!

هدموا منشآت ومكنوا لاحتلال دول، وفجروا عشرات السيارات وتسببوا في قتل آلاف الأرواح.

فسالت أودية بقدرها من الدماء، وأخرى بقدرها من المداد لتشويه صورة الإسلام وقلب حقائقه.

وثالثة الأثافي؛ تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي!

الذي تمخض بدوره فوضع جنين فكره المنكوس في منطقة من مدينة (القبايل) الجزائرية، ثم أصدر بيانا مفاده أن "المجاهدين الأبطال! تمكنوا صباح الثلاثاء من تنفيذ غزوة مباركة! بتفجير ست سيارات مفخخة، استهدفوا فيها بتوقيت متزامن مراكز عدة للشرطة المرتدة! والدرك الوثني! في منطقة القبائل".

وقديما قيل: الجنون فنون!

وهكذا يضيع فقه حكم شرعي بين غلاة العلمانيين الذين يدعون إلى حذف نصوص الجهاد، وغلاة المتدينين الذين يتذرعون بها في أفعالهم المنكرة، وهذه نتيجة حتمية لتغييب دور العلماء في التعليم والدعوة.

قالت الأخبار :(وقعت تفجيرات ولاية (بومرداس) في بلْدتي (سي مصطفى) و(سوق الحد)ومدينة (بومرداس)، في المنطقة الواقعة بين منطقة القبائل.

وسقط العدد الأكبر من الضحايا في التفجير الذي استهدف مركز الدرك الوطني في (سي مصطفى)، وهو مبنى من طابقين يعمل فيه العشرات، وأصيب بأضرار جسيمة.

أما في ولاية (تيزي وزو) المجاورة، فضربت التفجيرات منطقة صناعية قريبة من مدينة (تيزي وزو)،



وقريتي (مقلع) و(الولة أومالو) القريبتين من قمة جبل (جرجرة)).

..لو كان حجم المقالة يسمح لأوردت جملة من النصوص لبيان ضلال هذا الفعل، لكن حسبي أن أذكر مثالين منها؛ أحدهما من السيرة النبوية، والآخر من السنة القولية:

أما الأول:

فبيانه أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان وأصحابه في مكة بين ظهراني قوم مشركين؛ يبغضونهم ويحاربون دعوتهم، ويتفننون في أذيتهم، ولم يثبت عنه أنه أمرهم باغتيالات أو نحوها.

وهؤلاء في بلاد المسلمين، وأقدموا على هذه البدعة المنكرة!

وأما الثاني:

فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: "بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَضَرَبْنَاهُ حَتَّى قَتَلْنَاهُ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَنْ لَكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا مَخَافَةَ السِّلَاحِ، قَالَ: أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَالَهَا أَمْ لَا؟ مَنْ لَكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أُسْلِمْ إِلَّا يَوْمَئِذٍ" .[متفق عليه].

قَالَ الْقُرْطُبِيّ: "فِي تَكْرِيره ذَلِكَ وَالْإِعْرَاض عَنْ قَبُول الْعُذْر زَجْر شَدِيد عَنْ الْإِقْدَام عَلَى مِثْل ذَلِكَ".

وفِي لفظ لِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيث جُنْدَب بْن عَبْد اللَّه: "بَعَثَ بَعْثًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْم مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَالْتَقَوْا فَأَوْجَعَ رَجُل مِنْ الْمُشْرِكِينَ فِيهِمْ فَأَبْلَغَ، فَقَصَدَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ غَيْلَتَهُ -كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْن زَيْد- فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْف قَالَ: لَا إِلَه إِلَّا اللَّه فَقَتَلَهُ".

فهذا الرجل، أوجع في المسلمين أي قتل منهم عددا كبيرا، وهو معلن عداوته بل حربه للإسلام؛ ومع ذلك أنكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أسامة قتله بعد أن قَالَ: لَا إِلَه إِلَّا اللَّه، هذا وأسامة في جهاد شرعي مع قوم مشركين.

وأصحاب التفجيرات في بدعة يسمونها جهادا، يمارسونها في بلاد المسلمين، ويقتلون من يقول لا إله إلا الله وربما يصلي ويصوم، ولم يخطر بباله أن يحارب الإسلام، وإنما يعتقد أنه يحارب التطرف، ومع ذلك يستبيحون دمه!

لولم يكن في الشريعة نصوص تحكم على أفعالكم بالانحراف؛ لاقتضى الأمر الرجوع إلى ميزان المصالح والمفاسد؛ وحينئذ نقول لكم:

أي مصلحة تتوخون من أعمالكم التخريبية؟

هداية الناس..؟ تخويف الحكام..؟ إرهاب العدو..؟

إن شيئا من ذلك لم ولن يقع؛ أما الناس فتنفرونهم، وأما الحكام فتحملونهم على الظلم، وأما العدو فمتكئ على أريكته يشمت بالمسلمين، ويروي ظمأ حقده عليهم بما يراهم فيه من تنازع وكراهية، وصلت إلى حد التكفير وإزهاق الأرواح!!

فارجعوا إلى رشدكم، وتوبوا إلى ربكم، واحقنوا دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذه مراجع علمية، تنفع -إن شاء الله- من خلع لبوس العصبية منكم، ونزع رداء الكبرياء، وكان وقافا عند كتاب الله:

بأيٍّ عقل ودين يكون التفجير والتدمير جهاداً] للعلامة الإمام عبد المحسن العباد.

[التفجيرات والاغتيالات (الأسباب، والآثار، والعلاج)] لفضيلة الشيخ أبي الحسن المأربي.

[صيحة نذير بخطر التكفير] لفضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي.

[الحكم بغير ما أنزل الله] للدكتور خالد العنبري.

وقبل أن أرفع قلمي عن ورق هذه المقالة؛ أود أن أهمس كلمة في آذان متطرفي العلمانيين وطغاة اللادينيين:

اربعوا على أنفسكم؛ أما دين الله فلن تطفئوا نوره، وأما الغلو والإجرام فقد أحييتم أسبابه، وقد كتب الحفظة كيدكم وشهد التاريخ بجنايتكم على الأمة، فالويل لكم إن لم تتوبوا من حساب يوم القيامة، وشهادة تاريخ تجر عليكم الذكر القبيح...

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

عندما يغفل التربويون عن مسؤولياتهم يتحول التلاميذ إلى عبدة الشيطان

إعداد: رضوان حبشي

بعد ظهورهم بالأمس بمدينة الدار البيضاء واعتقال مجموعة منهم وتقديمهم للمحاكمة التي لم تخرج بنتيجة بعد الضغوط التي مارسها العلمانيون، إذ تم لفّ القضية دون الفصل فيها، وبعد تنظيمهم لمهرجان موسيقى السلام بشاطئ "سيدي مغايت" قرب مدينة أصيلا، والذي مَرَّ دون تدخل السلطات مع ما كان فيه من مخالفات، لأن ذلك يزعج راحة المصطافين، يطل علينا اليوم عبدة الشيطان برؤوسهم من جديد، وهذه المرة بعاصمة الغرب، مدينة القنيطرة بإحدى المؤسسات التروبوية وهي ثانوية طه حسين، حيث بدأت تظهر مجموعة من التلاميذ بأزياء غريبة سوداء ترمز لعبدة الشياطين، ولهم أنشطة شاذة ينهار المرء عند سماعها فضلا عن مشاهدتها.

فقد نقل عن بعض التلاميذ أن هؤلاء المجموعة بلغ بهم الأمر في التجرؤ -من إفطار في رمضان- على المقدسات إلى تدنيس القرآن الكريم بالتبول عليه، مما أدى إلى انتشار هذا الخبر داخل المؤسسة وأصبح حديث التلاميذ والأساتذة الذين عبر بعضهم عن استنكاره لهذه الممارسة بالبكاء الشديد أو الانهيار.

ولما تسرب الخبر خارج المدرسة، وذاع بين عامة الناس قام مراسلنا بالقنيطرة بزيارة للثانوية وأجرى مقابلة مع بعض التلاميذ الذين يدرسون بها، وأخبروه بأن هذه المجموعة يعيشون طقوسا غريبة، فلباسهم أسود موحد ويعلقون الصلبان والأقراط في أعناقهم، ويتختمون بها في أصابعهم، ويشمون على أجسادهم، وهم مدمنون على الإستماع المتواصل للموسيقى الصاخبة المعروفة بـ"الهارد ميتال"، ولهم تحية خاصة بهم.

وأضاف مراسل الجريدة أن الخبر لما فشا داخل المدينة، زار وفد من المجلس العلمي لمدينة القنيطرة الثانوية المذكورة والتقى بالإدراة التي أنكرت الأمر جملة وتفصيلا، وقالت: بأن كل ما يروج هو مجرد أكاذيب لا أصل لها من الصحة، ونفت وقوع أي عبث بالقرآن الكريم داخل المؤسسة حسب ما صرح به الدكتور حسن العلمي أحد أعضاء المجلس العلمي.

لكن هذا الأخير أكد أن شباب اللباس الأسود ينتشرون

هل هو تفريط الأسرة الراجع إلى عدم متابعة الآباء لأبنائهم بحجة العمل والانشغال، أو باعتقاد أن المدرسة تكفلت بمهمة التربية وحراسة قيم وأخلاق التلاميذ؟
أم المؤسسات التعليمية التي تُرجع المسؤولية إلى الآباء؟
أم المجالس العلمية؟
أم الجهات الأمنية.. أم كل هؤلاء؟

في المدينة بصفة عامة، وفي الجامعة وبعض الثانويات بصفة خاصة، وأن أغلبهم مغرر بهم لا يعلمون حقيقة ما يقومون به، وهذا ما صرح بعضهم به خصوصا لما صار للقضية هذا الحجم، وقالوا أنهم لا يعلمون خطورة ما يقومون به بل هي مجرد ممارسات ترويحية..

كما قام عضو المجلس العلمي المذكور بإلقاء خطبة جمعة في مسجد فلسطين، بيّن فيها خطورة طقوس عبدة الشيطان على شباب المسلمين، وأن فكر هذه المجموعات يناقض المعلوم من الدين بالضرورة، كما حذر أولياء الأمور من مسؤولين وآباء من هذا الفكر الذي دخل على حين غفلة إلى بلدنا المغرب، وأخذ ينتشر بالملكة بشكل ملحوظ، مما يدفع الغيور على دينه وبلده أن يتساءل من المسؤول عن هؤلاء الشباب الذين أثر عليهم هذا التيار الشيطاني الدخيل؟

هل هو تفريط الأسرة الراجع إلى عدم متابعة الآباء لأبنائهم بحجة العمل والانشغال، أو باعتقاد أن المدرسة تكفلت بمهمة التربية وحراسة قيم وأخلاق التلاميذ؟

أم المؤسسات التعليمية التي تُرجع المسؤولية إلى الآباء؟

أم المجالس العلمية؟

أم الجهات الأمنية.. أم كل هؤلاء؟

ولا ننسى أن ننوه و نثمن ما قام به المجلس العلمي بالقنيطرة بغض النظر عن وجود الظاهرة أم لا، الشيء الذي جعل المواطنين يحسون باهتمام المجلس بالقضايا التي تهم عقيدتهم ودينهم.

وهنا نقول لابد للجميع أن يقوم بالدور المنوط به، تطبيقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.." الحديث.

ونخص بالذكر الأبوين المعنيين بقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" (التحريم:6).

قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- مفسرا هذه الآية: "أي: علموهم وأدبوهم"، فالتربية على نهج القرآن والسنة، هي الحصن الحصين الذي يحفظ أبناءنا من الانزلاق في مثل هذه الانحرافات الخطيرة، والدفع أولى من الرفع كما قيل.

طقوس عبدة الشيطان

متى ظهر عبدة الشيطان في العالم؟

تختلف المصادر على تحديد أول ظهور لعبدة الشيطان في العالم، فثمة مصادر تشير الى أن اليهودي "انطوان لافي" هو المؤسس الحقيقي لحركة أو ظاهرة عبدة الشيطان في العالم عام 1966م، الذي أقنع أتباعه بأن ما ينتظرهم من السعادة أعظم بكثير مما يعرفون وكان يردد دائما أنه ذاهب ليعربد في جحيم السماء! وكانت خاتمته الانتحار مع المئات من أتباعه.

طقوس شيطانية عجيبة!

لعبدة الشيطان قداسان:

الأول الأسود، ويستحضر فيه الشيطان في غرفة مظلمة، مرسومة على جدرانها رموز شيطانية وفيها مذبح مغطى بالأسود، وتوضع على المذبح كأس مليئة بالعظام البشرية، أو الخمور إذا لم تتوافر العظام وخنجر لذبح الضحية ونجمة الشيطان ذات الأجنحة الخمسة، وديك أسود الريش وصليب منكس، ثم يمسك الكاهن أو الكاهنة بعصا، وتجري تلاوة القداس لاستحضار الشيطان، بعدها يمسك الكاهن بالخنجر ويذبح الديك ويشرب من دمه ويمرر الكأس بعد أن يملأها بالدم على الجميع تقربا لأمير الظلام.

أما القداس الثاني فهو **القداس الأحمر**، الذي يذبح فيه بشري، بدلا من الديك، طفل على الأرجح، وهِرّ في بعض الحالات التي يتعذر فيها الوصول إلى طفل ابن زنا في الغالب حتى لا يكون له في سجلات الدولة، مما يسهل عليهم ذبحه وشرب دمه ثم أكله.

وعبدة الشيطان جماعة منظمة بشكل جيد، يفوق تنظيمها حسب تقدير البعض تنظيم عصابات المافيا، وأتباعها نشِطُون في تعلم أفكارها، ويحافظون على ممارسة أعيادها وشعائرها وفي الدعوة إليها.

هذه جملة من عقائد تلك الجماعة المنحرفة، وإننا نرى أن نقف وقفات مع هذا الانحراف الفكري وما يتبعه من انحراف سلوكي كي لا يغتر به ضعيف العقل فيتخذ منه عقيدة وسلوكا، فنكون سببا في الإضلال من حيث أردنا أن نكون سببا في الهداية، فنقول وبالله التوفيق:

الوقفة الأولى: نحمد الله تعالى أولا أن هدانا لدينه وجعلنا من أتباع رسوله صلى الله عليه وسلم.

الوقفة الثانية: لا ينبغي أن يقف أمام هذه الترهات التي يعتقدها هؤلاء المسخ من كان يؤمن بالله سبحانه وبكتبه ورسله، بل عليه أن يردها جملة وتفصيلا، وما وقفتنا هذه إلا لقطع الطريق على عبدة الشيطان أن يغروا الجهلة والسذج من الناس.

الوقفة الثالثة: موقفهم من الشيطان لا يستند إلى أي حجة عقلية، وإنما يعتمد على إيحاء الشيطان لهم، فضلا عن مخالفته لما جاءت به الأديان السماوية من موقفها من الشيطان، وأنه مصدر الشر ومنبع الضلالة.

الوقفة الرابعة: اعتقاداتهم وأفكارهم لا تقوم على منهج علمي وإنما هو السفه والجنون والإغراب، والوحي الشيطاني هو الذي يوجه سلوكهم فأي خير للبشرية فيهم.

الوقفة الخامسة: عقائدهم وسلوكياتهم مؤذنة بفساد العالم وخرابه، وتأمل معي عندما يتحول البشر إلى قتلة ومغتصبين، يأكل بعضهم لحم بعض، ويغتصب بعضهم نساء بعض، ويسرق بعضهم أموال بعض، لا توجد عندهم طهارة ولا يوجد في قاموسهم شر يجتنبوه ولا خطيئة يبتعدوا عنها ولا خير يفعلوه، إن الغابة التي يسكنها سباع الطير والحيوان لهي أهون من العيش في عالم يسكنه هؤلاء، فالحيوان على الأقل لا يأتي أمه ولا يعتدي عليها، وهؤلاء ليس عندهم حرمة ولا يتورعون عن باطل.

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

من النكتة إلى الانغماس في العبثية 2/2

د. لطفي الحضري
أخصائي في علم النفس التواصلي

..انظر إلى الخلط العبثي كما يقول الكاتب بين "فهم الذات" و"هدم الذات"، ثم انتبه إلى محاولة الخدش في الرموز، الذات الإلهية، شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم..، الخدش في التاريخ وإعطاء إحساس بالفراغ الانتمائي، ثم الخدش في شخصية الملك الحالي محمد السادس= "حماية الملة والدين" لإفراغ المواطن من الربط الديني في المؤسسة الملكية، وفتح الطريق للمؤسسات العلمانية اللائكية اللادينية.

مازلنا مع عبثية الخط التحريري لمجلة "نيشان"، حيث سبق في المقال الأول أن تطرقنا إلى دراسة الكيفية التي تعالج من خلالها هذه المجلة كبريات المشاكل والمواضيع المتعلقة بدين وثقافة وسياسة المغاربة، وذلك عبر المحاور التالية:

- بين عبثية مجلة "نيشان" وجدية جريدة "يدعوت أحرنوت".
- "نيشان" ومراحل تغيير قيم المجتمع.
- العبثية في مفهوم النقل.

وفي الجزء التالي من هذا المقال نستكمل الدراسة:

العبثية في وضع الفرضيات

بقول المجلة: "..أن ملف النكت قد يساعد الناس على فهم ذواتهم.." ونحن نتساءل بالمنهج العلمي:

على أي أساس ثم وضع هذه الفرضية، فالفرضية لا بد أن تنطلق من منهاج علمي يؤسس لها، وإلا فنحن أمام العبثية العلمية.

من هم الناس الذين يستطيعون فهم ذواتهم وخاصة من خلال النكت، هل هو الرجل العادي، الذي لا يفهم حتى معنى فهم الذات، أو المثقف ذا مستوى عال، الذي من أجل أن يفهم ذاته من النكت يجب عليه أن يقوم ببحث متخصص في العلاقة بين الشخصية والنكت، وبحث متخصص آخر على معنى النكت وتأثيرها في العمليات العقلية والانفعالية، فهل ترون عبثا أبلغ من هذا العبث؟

ثم مَن هم أولائك الذين يربطون معنى النكث بإطار نفسي اجتماعي؟ ومن يستطيع ذلك؟

هذا هو العبث بالمفاهيم وهذا هو العبث بمضامين "استعمال" لفظ "الناس".

خط تحرير "نيشان؛ القائم على عبث العابثين بالقيم والأخلاق

وإني أتحدى "كسيكس" بإعطائي فكرة عن "التفاعل النفسي" بين ما كتبه وزميلته في هذا المقال، ومعرفته لذاتهما عبر الأسئلة التالية:

- أين يتجلى هذا التفاعل؟
- في أي نكته؟
- في أي مرحلة من تطورهما النفسي؟
- ما هو الرابط بين ما هو فكري وانفعالي، وتجليه على المستوى السلوكي؟
- ما هو الرابط اللاشعوري بين مضمون النكت وشكلها؟
- هل يتعامل مع النكتة من زاوية المتعة، أو من زاوية التنفيس عن الألم؟
- ما هو التفاعل المعرفي بين ذاته والنكتة؟
- ما التغيير العملي والمعرفي الذي طرأ عليه قبل كتابة النكتة وبعدها؟

و هكذا إن كانت فرضية "معرفة الذات" جادة فليجب على هذه الأسئلة، بل إني أرى وكما يقول عطية الويش في كتابه "واقعنا بين العالمانية وتصادم الحضارات": "..أن هذا الخط التحريري لا يهدف إلى فهم ذواتنا، بل إلى تغييب الوعي بذواتنا الإسلامية.. ووأد أفكار النهوض بالحضارة الإسلامية.. وكانت قضية الرموز الدينية الإسلامية هي القطب الذي تتمحور حوله تلك الخطة.." اهـ.

فانظر إلى الخلط العبثي كما يقول الكاتب بين "فهم الذات" و"هدم الذات"، ثم انتبه إلى محاولة الخدش في الرموز، الذات الإلهية، شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، شخصية الصحابة رضوان الله عليهم، ورمز إمارة المؤمنين في شخصية الملك الراحل، الخدش في التاريخ وإعطاء إحساس بالفراغ الانتمائي، ثم الخدش في شخصية الملك الحالي محمد السادس= "حماية الملة والدين" لإفراغ المواطن من الربط الديني في المؤسسة الملكية، وفتح الطريق للمؤسسات العلمانية اللائكية /اللادينية.

العبثية في الربط بين الانتماء إلى الأمة وتجاوز مقومات هذه الأمة..

إذ يقول "كسيكس" في معرض الدفاع عن ملفه: "نؤكد بكل قوة أننا مسلمون، نستنكر كل ما من شأنه أن يؤدي إلى إقصائنا من الأمة.." وإذ به يعبث بالخطوط الحمراء التي تربط المسلم بإسلامه من حيث:

اختلال في احترامه لله عز وجل ولرسوله ولأصحابه. "لغو الحديث..."، "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه"، "لا تسبوا أصحابي".

العبثية والمقدس

ما وقع فيه أصحاب "نيشان"، هو تلك العبثية التي تؤدي إلى الفصام النفسي من حيث محاولة التوفيق بين التحليل العلماني للفكر والثقافة والدين، وبين التحليل الفقهي للفكر والثقافة والدين، ولنفهم هذا الخلط نقدم بعض المرتكزات التي يقوم عليها الفكر العلماني/اللائيكي:

تجاوز كل مقدس: النظر إلى الله ورسوله من زاوية مادية صرفة، إذ يصبح التعامل مع المادي من زاوية كل شيء عادي. محو المقدس من الفكر اللائيكي يجر هؤلاء إلى عدم القدرة على استيعاب والتعامل مع ما هو مقدس، ومن ثم التجرؤ عليه، فلا قيمة لأي شيء لأن ليس هناك مقدس، ألهو بما أشاء وأقتل من أشاء!

أحيل القارئ إلى الفكر اللائيكي في كل من السلوكيات الفاشية : سلوكيات "هتلر" وسلوكيات "موسليني" وسلوكيات "بوش" وسلوكيات "إسرائيل"، كل هذه الدول لائيكية.

الخط التحريري لـ"نيشان" ومن على شاكلتها عندما يضرب المقدس يهدف بالدرجة الأولى إلى خدمة "الغير".

ففي إطار الحديث عن المقدس نأخذ على سبيل المثال مدينة القدس، فإذا تجاوزنا مفهوم المقدس فإنهم يتعاملون إذ ذاك مع هذه المدينة كأي بقعة أرضية يمكن التفاوض بشأنها بل التخلي عنها. فأنت حينما تتخلى على مقدساتك واحدة تلو الأخرى، يصبح من السهل عليك التهاون في كل المقدسات، من بينها التخلي عن القدس لفائدة الكيان الصهيوني، كأنها مدينة مثل باقي المدن، ولكن حينما تتعامل مع القدس على أساس أنها أرض مقدسة فإنك تموت من أجلها وتموت من أجلها الأجيال اللاحقة.

إن العدو يعلم أنه لا جدوى من التفاوض بل لا جدوى من قتل كل الفلسطينيين لأن القدس ليست فقط ملكا للفلسطينيين، ولكنها ملك لكل مسلم، ومن خلال سلوكيات مثل سلوكيات "نيشان" تصبح القدس مثل أي مكان آخر فبذلك تصبح من جهة ملكا للفلسطينيين، ومن جهة أخرى يكون من السهل طرح إمكانية التفاوض بشأنها، بل والتنازل عليها من أجل أكذوبة السلام.

من ثم وجب علينا أن نفهم سلوكيات الجرائد وسلوكيات بعض الحكام خارج إطاره الآني الضيق، والنظر إليه على المستوى الشمولي العام، انطلاقا مما يكتب في جرائدهم ومما يقال في برامجهم أو خطبهم.

المقدس هو مقدس لا يطرأ عليه تغير، والتعامل مع المقدس يستوجب قواعد الاحترام والطاعة والاستسلام الذي يشتق منه لفظ الإسلام.

تجاوز كل الأعراف الأخلاقية

الأخلاق عند "نيشان" تطورية وضعية، وغير مرتبطة بالكتاب المقدس، ومن هنا يأتي تجاوز القواعد القرآنية بتجاوز الاحترام والتأدب مع الله ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ومع الصحابة رضوا الله عليهم.

كما أن احترام الأعراف الأخلاقية من القواعد الإسلامية القرآنية من حيث أنها إلهية ربانية، وليست "طابوهات" موجودة ضد الإنسان، بل إن هذه "الطابوهات" هدفها بناء سليم للمجتمع. وفي احترامها عبادة لله وطاعته، لا تقربوا الزنا، لا تقربوا الخمر، لا تقربوا الفواحش، لا تقربوا لغو الحديث، لا تقربوا الربا..، كلها أوامر ربانية مرتبطة بالأخلاق والسلوكيات.

إن تحليل العلاقات الإنسانية من المبدأ الـ"درويني" الذي يعني تطور الإنسان من القرد، والنظر إلى الإنسان على أساس أنه قرد يعني حيوان أي هو قرد، وكل ما هو مرتبط بمفهوم "القرد" فهو لا شيء، يمكن إبادته، وللتذكير فقد قتل 60 مليون من الهنود الحمر على أيد الأمريكيين، وقتل أكثر من 10 ملايين من طرف الأوروبيين في إفريقيا، والتطاحن بين الأوربيين على أساس طائفي وعرقي أسفر عن قتل أكثر من 80 مليون فرد. وقتل الشيوعيون عبر العالم الإسلامي أكثر من 60 مليون مسلم، هذا وهو الإرهاب الحقيقي مقارنة مع ما قتل في جميع غزوات الرسول عليه السلام من الطرفين المسلمين وغيرهم حيث لم يتجاوز عدد القتلى على أبعد تقدير 1700 (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين).

الالتزام بالدين كمنهج للحياة واجب شرعي على كل مسلم انطلاقا من قاعدتين أساسيتين في القرآن:

-قال تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" الذاريات 56، و"إلا" هنا أداة الحصر أي تحصر وجود الإنسان في عبادة الله، والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

- وقال سبحانه: "قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" الأنعام 162، النسك والحياة والموت كلها لله، فكيف يفصل الدين عن الحياة كيف يفصل الدين عن الدولة بل كيف يفصل الدين عن السياسة.

إن الإسلام يرفض مفهوم ربط الإنسان بالحيوان -القرد-، فالله عز وجل يكرم الإنسان بأن يربطه بآدم وحواء مباشرة وهذا التكريم يقتضي بالضرورة الامتناع عن إذاية الآخر.

"لقد كان لكن فيهنّ أسوة حسنة" المرأة والصدقة

إن أمتنا لن تنجو من أوحال الضعف والذل، ما دامت المثلات قدوة نسائنا، والمغنيات مناط إعجابهن، وعارضة الأزياء محط اهتمامهن.

ألم يأن للواتي آمنَّ أن يفقن من سباتهن، ويصحين من غفلتهن؛ فيرجعن للاضطلاع بدورهن العظيم في إصلاح الأمة، وصنع أجيال النصر؟!

بلى والله؛ قد آن الأوان أن تُوَلّي المسلمة وجهها شطر القدوة الحسنة، والأسوة الطيبة، التي تأخذ بيدها إلى علياء المجد، وسماء العز، وتجعل منها ينبوع الكرامة وسبب التمكين:

زينب بنت جحش الأسدية أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

قال أهل السِّيَر: كانت صالحة صوامة قوامة صناعاً، تتصدق بذلك كله على المساكين.

صناعا: أي تمارس صنعة بيدها، وتجعل ربحها كله للفقراء والمساكين.

في الصحيحين واللفظ لمسلم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً"** قال: فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً قالت: وكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق.

وفي رواية قالت عائشة: "فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم نمد أيدينا في الجدار نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أراد طول اليد بالصدقة؛ وكانت زينب امرأة صناع اليدين، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به في سبيل الله".

حتى العطاء الذي كانت تصرفه لها الدولة، جادت به نفسها في سبيل الله:

أخرج ابن سعد في الطبقات عن محمد بن كعب: كان عطاء زينب بنت جحش اثني عشر ألفاً، لم تأخذه إلا عاماً واحداً، فجعلت تقول: اللهم لا يدركني هذا المال من قابل، فإنه فتنة، ثم قسمته في أهل رحمها وفي أهل الحاجة، فبلغ عمر فقال: هذه امرأة يراد بها خير. فوقف عليها، وأرسل بسلام وقال: بلغني ما فرّقت. فأرسل بألف درهم تستبقيها، فسلكت به ذلك المسلك. رضي الله عنها وأرضاها.

.. إنها امرأة فقهت قول ربها: **"مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"** البقرة.

ومن عاش على شيء مات عليه:

أخرج ابن سعد عن القاسم بن محمد قال: قالت زينب حين حضرتها الوفاة: إني قد أعددت كفني، وإن عمر سيبعث إلي بكفن، فتصدقوا بأحدهما، وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوي فافعلوا.

الحقو: الإزار.

قالت عمرة: سمعت عائشة تقول: لقد ذهبت حميدة متعبدة **مفزع اليتامى والأرامل.**

رحم الله أمنا ورضي عنها، وجعلها أسوة لنسائنا.

نحو أسرة تبني مجتمعها المعالم السبعة في طريق تربية الولد (من خلال وصية لقمان لابنه) -الجزء الأول-

بقلم: حمّاد القباج

كان حسن الترتيب يقتضي أن أبدأ هذه المقالات:(نحو أسرة تبني مجتمعها)؛ بالحديث عن الزواج بصفته اللبنة الأولى في بناء الأسرة، لكن سياقا معينا قيد قلمي، وحكم علي بتقديم هذه المعالم في هذا الموضوع المهم والحساس، فليعذرني القراء الكرام، وعلى رأسهم رائدات هذه الرياض العطرة من جريدتنا الغراء..

إن وصية الحكيم لقمان بن عنقاء بن سدون رحمه الله لابنه ثاران، لا تمثل وصية والدٍ عالمٍ ناصحٍ لولده، بقدر ما أنها دروس نفيسة من ذلك العالم لأهل التربية؛ وعلى رأسهم الأم..

وقد ذُكرت تلك الوصية في التنزيل الكريم؛ من الآية: الثالثة عشر إلى الآية: التاسعة عشر، من سورة لقمان؛ وهي سورة مكية، عدد آياتها: ثلاث وثلاثون آية، وترتيبها في المصحف الشريف: السورة الواحدة والثلاثون.

ويكفي دلالة على نفاسة هذه الوصية وبرهانا على عظيم أهميتها؛ أن ارتضاها الخالق جل وعلا، وأنزلها قرآنا تعبّدَنا بتلاوته، وأمرنا باتخاذه دستورا ومنهجا.

وقد اشتملت على سبعة معالم أساسية، مُنظِّمة وموجهة لسير الأم في طريق التربية الشاق والطويل، وقد كتبت هذه السلسلة لبيانها، وتقريبها للأمهات كي يجعلنها ركيزة ومنطلق في ذلكم الطريق:

المعلم الأول: توحيد الخالق جل وعلا

"وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13)"

فأعظم إثم الإشراك بالله، ومن ثَم فإن أعظم واجب على العباد هو توحيد ربهم : لأنه سبحانه؛ الخالق المنعم المدبر ملك يوم الدين؛ فلا يليق بعاقل أن يشرك به من لا يخلق شيئا وهم يخلقون، من الملائكة والأنبياء والصالحين والأولياء.

لا يشركهم مع الله لا بدعاء ولا بذبح ولا بنذر ولا بسجود، ولا غير ذلك من العبادات.

قال تعالى: **"وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً"**النساء 36.

وقال عز وجل: **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (21) **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"** البقرة.

أي: لا تجعلوا لله شركاء تصرفون لهم بعض العبادة، والحال أنكم تعلمون أن الله وحده هو الذي خلقكم ورزقكم.

فتُبين الأم هذه الحقيقة لولدها بخطاب يَعِيه، وأسلوب يتناسب مع إدراكه، وتبدي في ذلك وتعيد؛ لأنه أساس كل صلاح.

ومثال على الأسلوب المناسب له؛ أن تشرح له شيئا من إبداع الله في خلقه، في الإنسان أو الحيوان أو الطبيعة، فلما يستشعر عظمة من صنع تلك الصنعة تذكر له الصانع سبحانه، وتربط التعظيم الذي في قلبه بالمعَظَّم، ثم تسكب في قلبه حبَّه تعالى؛ بتوضيح نعمته علينا وإكرامه لنا بهذا الخلق وتسخيره لنا.

وكمال محبة الخالق وتعظيمه هو ركن العبادة الركين وأساسها المتين.

ثم تنتقل لتنفيره من الشرك، وتوضح له قبحه، وأنه أعظم الظلم، إذ كيف يليق بعاقل أن يترك المنعم المُوجد المدّ، ويعبد العبد الفقير الضعيف؟!

ولو ضربت المثال الذي مثل به نبي الله يحيى عليه السلام، لأجادت:

عن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها.. فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ، وقعدوا على الشرف، فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن:**

أولاهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا؛ وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق فقال: هذه داري وهذا عملي، فاعمل وأدِّ إلي، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده! فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك.." الحديث؛ [رواه الترمذي وصححه].

وهكذا تُكرِّر الأم لولدها ذلك بنماذج مختلفة، تستعين على إيضاحها بالأمثلة الحية، وغيرها.

واعلمي أن لوح قلب الولد مهيأ لأن تنقشي فيه هذه الحقيقة الكبرى؛ لأنه يولد موحدا في الأصل:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ"** [رواه مالك].

قال العلامة الباجي رحمه الله: "الْفِطْرَةُ فِي الشَّرْعِ: الْحَالَةُ الَّتِي خُلِقُوا عَلَيْهَا مِنْ الْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْإِقْرَارِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، فَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا مِنْ الْإِيمَانِ" [المنتقى(71/2)].

فإذا كان والداه مسلمَين؛ سَقَيا هذه النبتة حتى تترسخ جذورها في الأرض، وتنتشر فروعها في السماء، فتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها..

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

حكم رطوبة فرج المرأة

حمّاد القباج

والمراد بها: ماء لونه أبيض، وجرمه متردد بين المذي والعرق، يخرج من فرج المرأة؛ من مخرج متصل بالرحم لا من مخرج البول، وهو كثير الخروج عند كثير من النساء ويقل عند بعضهن.

والفرق بينه وبين مَنِيّ المرأة؛ أن هذا الأخير أصفر يخرج عادة بجماع أو احتلام، ويكون خروجه بشهوة عادة.

والفرق بين الرطوبة وبين المذي؛ أن المذي يخرج بشهوة وعند إرادة أو تذكر الجماع، ولا يكثر في الغالب.

وهذه الرطوبة لرحم المرأة؛ كالدمع للعين والمخاط للأنف واللعاب للفم.

حكمها:

الراجح أنها طاهرة غير نجسة؛ إذ الأصل الطهارة فلا ننتقل عنه إلا بدليل:

قال أبو الطيب: "الأصل في جميع الأشياء الطهارة، والحكم بنجاستها حكم تكليفي تعم به البلوى ولا يحل إلا بعد قيام الحجة" الروضة الندية 17/1.

وينضاف إلى الأصل المذكور؛ وجهان آخران ذكرهما ابن قدامة في المغني؛ وهما قوله: "لأن عَائِشَةَ كَانَتْ تَفْرُكُ الْمَنِيَّ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مِنْ جِمَاعٍ، فَإِنَّهُ مَا احْتَلَمَ نَبِيٌّ قَطُّ، وَهُوَ يُلَاقِي رُطُوبَةَ الْفَرْجِ.

وَلِأَنَّنَا لَوْ حَكَمْنَا بِنَجَاسَةِ فَرْجِ الْمَرْأَةِ، لَحَكَمْنَا بِنَجَاسَةِ مَنِيِّهَا؛ لِأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ فَرْجِهَا، فَيَتَنَجَّسُ بِرُطُوبَتِهِ" المغني 248/3.

ووجه الاستدلال من الأول؛ أن الرطوبات لو كانت نجسة لما اقتصرت عائشة على فرك المني الممزوج بتلك الرطوبات، وقد أقرَّها النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، وفي رواية صحيحة: "أنها كانت تحكه يابسا بظفرها".

والحكم بطهارة الرطوبة هو مذهب كثير من العلماء.

والظاهر أن خروجها لا ينقض الوضوء؛ للبراءة الأصلية أيضا، ولأن هذه الإفرازات موجودة عند أكثر النساء ومع ذلك لم نقف على نص يأمرهن بالوضوء منها، ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم -في استقراء العلماء- أنه أمر امرأة أن تتوضأ من هذه الإفرازات رغم كثرتها وابتلاء عامة النساء بها.

وتكليف المرأة بالوضوء لكل صلاة، لأجل الرطوبة إن كانت مستمرة، أو إعادتها للوضوء إذا كانت متقطعة، أمر شاق ومحرج وقد قال سبحانه: "وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ" الحج 78.

وقال تعالى في سياق بيان الطهارة الشرعية: "مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" المائدة 6.

وهذا هو مذهب ابن حزم، والله أعلم.

امرأة وموقف أم حبيبة.. رضي الله عنها

مؤمنة قانتة، مهاجرة صابرة، عرف الإيمان طريقه إلى قلبها فعاشت له وتحملت في سبيله العذاب والتنكيل.. هي أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب .

جمعت رضي الله عنها إلى رفعة النسب والحسب، الغنى الوافر، والعقل الراجح، تزوجها عبيد الله بن جحش؛ فأسلمت معه وهاجرت إلى الحبشة واعتصمت بدينها حين ارتد، فقضت أيامها في ديار الهجرة بين عذابين: عذاب الغربة، وعذاب الترمل.. لكنها استطاعت أن تصمد في وجه المحنة بكل صبر وعزيمة.. إلى أن خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم من النجاشي(ملك الحبشة) الذي أكمل هذا الزواج المبارك بين سيد البشر وبين المرأة المؤمنة الصابرة، التي عوضها الله بصبرها عن زوجها الهالك برسول الله صلى الله عليه وسلم فأقامت في بيته زوجة مخلصة، تقدر مسؤوليتها، وتحرص على إسعاد زوجها الكريم وطاعته .

ولأم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها مواقف كثيرة مشرقة في حياتها تعتبر أمثلة ونماذج حية لكل مؤمن ومؤمنة، نختار من بينها ذلك الموقف الجريء العظيم، الذي تتجلى فيه مظاهر الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراء من كل مشرك لا يؤمن بالله، وإن كان أقرب قريب.

الموقف:

ذكر ابن سعد في كتابه الطبقات أنه لما قدم أبو سفيان المدينة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد غزو مكة، فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية، فلم يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام ودخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي صلى الله عليه وسلم طوته دونه فقال: يا بنية أرغبتِ بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت: "بل هو فراش رسول الله، وأنت امرؤ نجس ومشرك، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله".

فقال: "يا بنية، لقد أصابك بعدي شرا!"، ثم خرج.

تحليل الموقف:

وهكذا قدر لأم حبيبة رضي الله عنها أن تواجه والدها بعد فراق دام سنوات منذ أن أسلمت وفرّت بدينها إلى الحبشة، وأذهلتها المفاجأة.. حتى أنها لم تدر ما تقول.. بل كيف تستقبل والدها سيد قريش وزعيمها المطَاع.. ولعل أبا سفيان قدر الموقف والتمس لابنته العذر، إذ لم تستقبله، ولم تدْعُه للجلوس، فتقدم بنفسه ليجلس على البساط المفروش في ركن الحجرة.. وفجأة تعود المؤمنة إلى هدوئها لتتصرف أمام هذا الحدث بكل رباطة جأش وعقيدة راسخة، لا مجاملة فيها ولا محاباة، لتطوي البساط المتواضع، قبل أن تدوس عليه أقدام الشرك والطغيان المتمثلة في أبيها آنذاك، ووقف أبو سفيان حائراً إزاء ما فعلته ابنته، فسألها: هل كان طيك للفراش لأنك لا ترغبين أن أجلس عليه لسبب ما؟! أم أنك طويته لأنك ترين أنه فراش لا يليق بمكانة أبيك؟

وأجابت أم المؤمنين بثبات، وثقة، واستعلاء إيمان، غير جازعة من سلطان سيد قريش وجبروته، قائلة: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك ونجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله.

ولم يكن من أبي سفيان وهو يسمع هذه الكلمات القاسية التي لم يكن يتصور على الإطلاق أن تتفوه بها ابنته إلا أن كبح جماح غضبه فقد تذكر المهمة التي جاء من أجلها، وقال لها وهو يتميز من الغيظ: "لقد أصابك يا بنية بعدي شر"، ثم خرج غاضباً؛ ليبحث عن شفيع آخر ليتابع مهمته.. ولكن أنَّى للكفر أن يجد له شفيعاً بين هؤلاء المؤمنين الذين تغلغل حب الله ورسوله في نفوسهم.. فلم تعد تخدعهم المظاهر الجوفاء ولا القوى والاعتبارات التي تتعبد الناس في الجاهلية.

وكم نحن بحاجة ماسة ونحن في غمرات الفتن العظيمة والأحداث السريعة المتلاحقة لترسيخ عقيدة الولاء والبراء في النفوس؛ حتى لا يتكالب أعداء هذا الدين عليه من كل حدب وصوب، طامعين في إطفاء نور الله بكل الوسائل المتاحة لهم.. هدفهم الأول والأخير تشويه صورة الولاء والبراء، وفسخ ولاء المسلم لدينه وإخوانه المؤمنين وزعزعة برائه ممن دونهم، عن طريق نشر الدعوات الهدامة بأسماء براقة من قومية، ووطنية، ومدنية وعالمية..

وأفلح الاستعمار في تكوين جيل يرفض العمل تحت لواء الإسلام ويستحي من الانتساب إليه وأصبح عوناً لأعداء هذا الدين وقدم ولاءه وتبعيته لهؤلاء.

وهنا نتساءل .. أين فتيات عصرنا المبهورات بفتنة الغرب المتمردات على حياة الزوجية من أم حبيبة التي لم تعرف صلة إلا صلة الإسلام، ولم تعرف ولاءً إلا لله ورسوله، ولم تعلم براءً إلا من الكفر والشرك؟!

أين فتياتنا ونساؤنا اللاتي انخدعن بالحياة الدنيا وزينتها وشهواتها؛ فغمر قلوبهن وران عليها حب المال والشهوات.. من تلك المؤمنة التي غمر قلبها حب الله وحب رسوله فلم يبقَ فيه إلا تلك المحبة الطاهرة؟!

شتان ما بين حال فتياتنا الضائعات المشغولات بالتافه من الأمور بل المحرم من الأمور، وحال تلك الصفوة المباركة من أمهات المؤمنين، والصحابيات الجليلات، والمؤمنات اللاتي أشرقت قلوبهن بنور الله؛ فلم يتلكأن في طاعة الله ورسوله، والبراء من كل معصية لهما..

أما آن الأوان لنسائنا وفتياتنا أن يتحلين بتلك الصفات ويمددن أياديهن للمساهمة في بناء صرح الإيمان؟

ألم يأنِ لقلوبهن أن تصبح عامرة بحب الله وحب رسوله؟

إن هذا لن يكون إلا بالبراءة من كل منهج وتشريع غير منهج الإسلام، والبراءة من كل فكر يناقض هذه العقيدة التي كانت سبب ظهور الرعيل الأول من النساء المؤمنات.

آية وتفسيرها
من سار على دربهم لحق بهم

قال الله تعالى: "وَضَرَبَ اللهُ مَثَلا للذينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْن إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْن وَعَمَلِهِ وَنَجِنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِين" التحريم 11.

قال الإمام السعدي رحمه الله:
"وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْن" وهي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها.

"إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْن وَعَمَلِهِ وَنَجِنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" فوصفها الله بالإيمان والتضرع لربها، وسؤالها لربها أجلّ المطالب؛ وهو دخول الجنة، ومجاورة الرب الكريم، وسؤالها أن ينجيها الله من فتنة فرعون وأعماله الخبيثة، ومن فتنة كل ظالم.

فاستجاب الله لها، فعاشت في إيمان كامل، وثبات تام، ونجاة من الفتن، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء، إلا مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام".

[تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (1/874)].

فلتقتف المسلمة أثر الكاملات، ومن سار على دربهم لحق بهم..

العدد 17 ـ 09 ذو القعدة 1427 الموافق لـ 01 دجنبر 2006

من مصابيح السبيـــل السلوك الصحيح

قال الذهبي رحمه الله: "الطريقة المثلى هي المحمدية وهو الأخذ من الطيبات وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف كما قال تعالى: "يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحا" المؤمنون، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "..لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وآتي النساء وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني"، فلم يشرع لنا الرهبانية ولا التمزق، ولا الوصال بل ولا صوم الدهر، ودين الإسلام يسر وحنيفية سمحة، فليأكل المسلم من الطيب إذا أمكنه، كما قال تعالى: "لينفق ذو سعة من سعته" الطلاق، وقد كان النساء أحب شيء إلى نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك اللحم والحلواء والعسل والشراب الحلو البارد والمسك، وهو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى.

ثم العابد العري من العلم متى زهد وتبتل وجاع وخلا بنفسه وترك اللحم والثمار واقتصر على الدقة والكسرة صفت حواسه ولطفت ولازمته خطرات النفس وسمع خطابا يتولد من الجوع والسهر لا جود لذلك الخطاب -والله- في الخارج، وولج الشيطان في باطنه وخرج فيعتقد أنه قد وصل وخوطب وارتقى، فيتمكن منه الشيطان ويوسوس له، فينظر إلى المؤمنين بعين الازدراء ويتذكر ذنوبهم، وينظر إلى نفسه بعين الكمال وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه ولي صاحب كرامات، وتمكن، وربما حصل له شك وتزلزل إيمانه، فالخلوة والجوع أبوجاد الترهب وليس ذلك من شريعتنا في شيء.

بلى السلوك الكامل هو الورع في القوت والورع في المنطق، وحفظ اللسان وملازمة الذكر، وترك مخالطة العامة والبكاء على الخطيئة، والتلاوة بالترتيل والتدبر ومقت النفس وذمها في ذات الله، والإكثار من الصوم المشروع ودوام التهجد، والتواضع للمسلمين وصلة الرحم والسماحة وكثرة البشر، والإنفاق مع الخصاصة وقول الحق المر برفق وتؤدة، والأمر بالعرف والأخذ بالعفو والإعراض عن الجاهلين، والرباط بالثغر وجهاد العدو وحج البيت، وتناول الطيبات في الأحايين وكثرة الاستغفار في السحر، فهذه شمائل الأولياء وصفات المحمديين أماتنا الله على محبتهم" السير 12/89-91.

هل يعذر الجاهل بالأحكام الشرعية مطلقا؟

رشيد مومن الإدريسي

من المقرر في الشريعة أن شرط التكليف بحكم من الأحكام الشرعية: علم المكلف بطلب الشارع للفعل في الواقع.

قال الناظم:

والشرع لا يلزم قبل العلم

دليله فعل المسيء فافهـــم

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عند شرحه لهذا البيت: "من شروط وجوب الشرائع أن يكون الإنسان عالما بذلك فإن لم يكن عالما فإنه لا يلزمه، والدليل على هذا فعل المسيء في صلاته فإن النبي صلى الله عليه وسلم رآه يصلي صلاة لا يطمئن فيها فقال: "ارجع فصل فإنك لم تصل"، ولكنه لم يأمره بإعادة الصلوات السابقة لأنه كان جاهلا، ولهذا قال: "والذي بعث بالحق لا أحسن غير هذا فعلمني"، فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم، وأما أمره بإعادة الصلاة الحاضرة فهذا لأن الوقت حاضر وهو مطالب بصلاة تبرأ بها ذمته، فلهذا أمره بإعادة الصلاة الحاضرة دون الصلوات الماضية" شرح القواعد الفقهية 23.

وعليه فلا يؤاخذ العبد بجهله إلا بعد بلوغه الحجة كما قال تعالى: "وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً" وقال تعالى: "وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ".

قال ابن حزم رحمه الله: "فنص تعالى على أن النذارة لا تلزم إلا من بلغته، لا من لم تبلغه، وأنه تعالى لا يعذب أحدا حتى يأتيه رسول من عند الله عز وجل" الفصل 105/4.

وقال النووي رحمه الله مقررا ذلك: "وهذا جار على ما تقرر في الأصول لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح" شرح مسلم 369/1.

لكن ينبغي أن يعلم أن الجهل ليس صفة ملازمة للإنسان في كل أحواله، بل من الجهل ما يكون الإنسان هو السبب في بقائه عليه وذلك بتقصيره في محاولة إزالته بالتعلم، ولذلك كان حكم هذا الجهل مغايرا لحكم الجهل الذي يعذر به صاحبه لأسباب شرعية، أولها: مشقة الاحتراز منه، ثانيها: انتفاء تقصير المكلف في تصرفه الناشئ عن جهل يعذر به، ومن ثم فالجاهل المقصر في التعلم مع إمكانيته لذلك ليس بمعذور، وهو مؤاخذ بحسبه.

قال الناظم:

لكن إذا فرط في التعلم   فذا محل نظر فلتعلم

وهذا النوع من الجهل هو المسمى عند أهل العلم بجهل الإعراض والصدود.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "من ترك الواجب أو فعل المحرم لا باعتقاد ولا بجهل يعذر فيه ولكن جهلا وإعراضا عن طلب العلم الواجب عليه مع تمكنه منه، أو أنه سمع إيجاب هذا وتحريم هذا ولم يلتزمه إعراضا لا كفرا بالرسالة، فهاذان نوعان يقعان كثيرا فمن ترك طلب العلم الواجب عليه حتى ترك الواجب وفعل المحرم غير عالم بوجوده وتحريمه، أو بلغه الخطاب في ذلك ولم يلتزم اتباعه تعصبا لمذهبه أو اتباعا لهواه فإن هذا ترك الاعتقاد بغير عذر شرعي" الفتاوي 16/22.

وقال السيوطي رحمه الله: "..كل من جهل تحريم شيء **مما يشترك فيه غالب الناس** لم يقبل إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية يخفى عليه مثل ذلك" الأشباه والنظائر220.

وقال ابن اللحام رحمه الله: "**إذا قلنا إن الجاهل يعذر فإنما محله إذا لم يقصر ويفرط في تعلم الحكم، أما إذا قصر أو فرط لا يعذر جزما**" القواعد والفوائد الأصولية 58.

وقال الإمام المقري رحمه الله: "أمر الله عز وجل العلماء أن يبينوا، ومن لم يعلم يسأل، فلا عذر في الجهل بالحكم ما أمكن التعلم" القواعد 412/2.

والخلاصة: أن الجهل الذي يمكن للمكلف دفعه باعتبار عدم مشقة الاحتراز منه عادة بأن تكون أسباب المشقة معدومة، ثم باعتبار تمكن المكلف من العلم.. فهذا الجهل لا يصلح أن يكون عذرا لصاحبه، وتترتب على المكلف الأحكام بحسب أحواله وتصرفاته..

الإصابة في بيان خصائص منهج أهل السنة والجماعة

الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر فمن السنة لزوم الجماعة

كثرت المناهج في زمننا هذا حتى ان الكثير من الناس قد حاروا في خضم ذلك إلا أن المنهج الصحيح الذي لا يتصور أن يختلف فيه اثنان أو ينتطح في عنزان: منهج أهل السنة والجماعة، أتباع السلف الصالح.

قال البربهاري رحمه الله في شرح السنة: "اعلموا أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر فمن السنة لزوم الجماعة، فمن رغب غير الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وكان ضالا مضلا، والأساس الذي تبنى عليه الجماعة هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورحمهم الله أجمعين، وهم أهل السنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع وكل بدعة ضلالة والضلالة وأهلها في النار".

وعليه فإن التمسك بمنهج أهل السنة والجماعة: فريضة شرعية، وضرورة بشرية، ويتبين ذلك بالوقوف عند الخصائص الفريدة التي تميز بها هذا المنهج المبارك ومن أهمها وأظهرها:

1- الوسطية والاعتدال سواء أكان في باب العقيدة أم الأحكام والسلوك.

2- الاقتصار في التلقي على الكتاب والسنة والاهتمام بهما والتسليم لنصوصهما وفهمهما على مقتضى فهم السلف الصالح.

3- ليس لأصحاب هذا المنهج إمام معظم يأخذون كلامه كله ويدعون ما خالفه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

4- ترك الخصومات في الدين ومجانبة أهله وترك الجدال والمراء في مسائل الحلال والحرام، والدخول في الدين كله.

5- تعظيم السلف الصالح، والاعتقاد بأن طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم.

6- رفض التأويل الفاسد والاستسلام للشرع، مع تقديم النقل على العقل (تصورات الأذهان) واخضاع الثاني للأول.

7- الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة ورد المتشابه إلى المحكم.

8- أصحابه يهدون إلى الحق ويرشدون إلى الصراط المستقيم، **بثباتهم على الحق وعدم تقلبهم واتفاقهم على أمور العقيدة**، وجمعهم بين العلم والعبادة وبين التوكل على الله والأخذ بالأسباب وبين الخوف والرجاء والحب والبغض في الله، وبين الرحمة واللين للمؤمنين والشدة والغلظة على الكافرين..، وعدم اختلافهم لاختلاف الزمان والمكان مع سعة صدورهم للخلاف المعتبر.

9- لا يسم أصحابه بغير الإسلام والسنة والجماعة واتباع السلف الصالح ونحو ذلك من الألقاب الشرعية.

10- الحرص على نشر العقيدة الصحيحة والدين القويم وتعليم الناس وارشادهم والنصيحة لهم والاهتمام بأمورهم.

11- أصحابه أعظم الناس صبرا على أقوالاهم ومعتقداتهم ودعوتهم، ولو فتنوا بأنواع الفتن.

12- الحرص على الجماعة والألفة والدعوة إليها وحث الناس عليها ونبذ الفرقة وتحذير الناس منها.

13- عصمة أصحاب هذا المنهج من تكفير بعضهم بعضا ثم هم يحكمون على غيرهم بعلم وعدل وورع فهم أعلم الناس بالحق وأرحمهم بالخلق.

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

العبادة لله وحده

ومن صرف نوعا من أنواعها لغيره فقد وقع في الشرك

اعلم أن حقيقة العبودية لله تعالى صرف جميع أنواع العبادة له وحده لا شريك له، كما قال تعالى: "وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً".

قال ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره للآية: "وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا" أيها الناس "مَعَ اللَّهِ أَحَداً" ولا تشركوا به فيها شيئا، ولكن أفردوا له التوحيد، وأخلصوا له العبادة، عن قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيَعهم أشركوا بالله. فأمر الله نبيه أن يوحد الله وحده" تفسير ابن جرير 665/23.

فالآية -إذن- دليل على إيجاب إفراد الله تعالى بالعبادة، وهذه الأخيرة على كثرة أنواعها ترجع إلى أسس ثلاثة:

أولا: عبادة القلب وهي: اعتقاده الجازم، وشهوده بأنه لا إله إلا الله، ولا رب سواه، وأن محمدا عبده ورسوله، والتصديق الجازم بالأركان الإيمانية الستة.

ثانيا: عبادة الأعمال وهي تأدية الأعمال التي أمر الله بها والانتهاء عما نهى الله عنه.

ثالثا: عبادة الأقوال وهي: تأدية ما شرعه الله من التلاوات والأدعية والأذكار وكفّ اللسان عما نهى الله عنه.

فمن صرف شيئا من ذلك لغير الله تعالى فقد وقع في الشرك عياذا بالله.

قال تعالى: "وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ" المؤمنون117.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية: "يقول تعالى متوعدا من أشرك به غيره وعبد معه سواه ومخبرا أن من أشرك بالله لا برهان له، أي لا دليل على قوله فقال تعالى: "وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَه" وهذه جملة معترضة، وجواب الشرط في قوله: "فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّه" أي الله يحاسبه على ذلك ثم أخبر "إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ" أي: لديه يوم القيامة، لا فلاح لهم ولا نجاة" 270/3.

وهذا الوصف: "لَا بُرْهَانَ لَهُ بِه" إنما هو قيد لبيان الواقع الذي لا ينفك عنه دعاء إله مع الله، فلا يفهم منه أنه قد يكون مع المشرك يوما برهان له به.

ونقل القاسمي في محاسن التأويل 106/7 عن الزمخشري أنه قال: "وقوله "لَا بُرْهَانَ لَهُ بِه" كقوله "مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً" وهي صفة لازمة، جيء بها للتوكيد لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان".

يقول الناظم:

ونوعن عبادة الرحمـــن ... بإسلامنا إيماننا الإحسان
وصرفه لغــيره فمنكــر ... وفاعل لــه بذلـك يكفـر
دليله في (المؤمنون) يتلـى ... وقل لمن يأباه: أولى أولى

التحلي بالإنصاف والتخلي عن الظلم والاعتساف

التحلي بالعدل زينة المرء، وهو دليل تقواه كما قال تعالى: "وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى".

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار وهو بغض مأمور به، فإن البغض الذي أمر الله به قد نهي صاحبه أن يظلم من أبغضه، فكيف في بغض مسلم بتأويل أو شبهة أو بهوى نفس؟ فهو أحق أن لا يظلم، بل يعدل عليه" منهاج السنة 127/5.

ولذلك فلا استقامة في أمور الناس في هذه الدنيا إلا بالعدل، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل..أكثر مما تستقيم مع الظلم.. ولهذا قيل إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة" الفتاوي 146/28.

ولا يتحقق العدل بين الناس إلا بالعمل بدين الله وشرعه، "فالشرع هو العدل، والعدل من الشرع، ومن حكم بالعدل فقد حكم بالشرع.. فإن هذا الشرع المنزل كله عدل ليس فيه ظلم ولا جهل" الفتاوي 366/35.

ومن أعظم العدل الذي تخلف قيامه في دنيا الناس -إلا من رحم الله جل وعلا- تحقيق الإنصاف، وهو العدل بين المرء وغيره.

يقول ابن العربي المعافري رحمه الله: "العدل بين العبد وربه بامتثال أوامره واجتناب مناهيه.. وبين العبد وبين نفسه بمزيد من الطاعات وتوقي الشبهات والشهوات.. **وبين العبد وبين غيره بالإنصاف**" الفتح 589/10.

والانصاف من (أنصف) الرجل عدل، يقال: أنصفه من نفسه (وانتصف) هو منه، و(تناصف) القوم أنصف بعضهم بعضا، انظر مختار الصحاح 584.

فالدين الذي جعل الله من مقاصده إخراج الناس من جور الأديان إلى عدل الإسلام، لا بد أن يتحلى أتباعه بالعدل والإنصاف مع العدو والصديق ومع المسلم والكافر، ومع الموافق والمخالف، كل ذلك وفق دين الله وشرعه.

يقول ابن القيم رحمه الله: "والله تعالى يحب الإنصاف، بل هو أفضل حلية تحلى بها الرجال، خصوصا من نصب نفسه حكما بين الأقوال والمذاهب، وقد قال تعالى لرسوله (وأمرت لأعدل بينكم)؟ فورثة الرسول عليه الصلاة والسلام منصبهم العدل بين الطوائف، وألا يميل أحدهم مع قريبه وذوي مذهبه وطائفته ومتبوعه، بل يكون الحق مطلوبهم، يسير بسيره وينزل بنزوله، ويدين بدين العدل والإنصاف" إعلام الموقعين 127/3.

فهذا العدل الذي يطمح الفضلاء أن يعيدوه بين المسلمين، وذاك الإنصاف الذي يأمل النجباء أن يعم بين المختلفين من أهل الملة الواحدة (مع النصيحة والبيان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، قد كان المسلمون يعاملون به أهل الذمة (مع تحقيق البراء).

يذكر أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كتب إلى واليه على البصرة: عدي بن أرطأة يوصيه، ومما جاء في وصيته: "ثم انظر من قِبَلَكَ من أهل الذمة، قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب، فأجْرِ عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه.. وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه مرَّ بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس فقال: ما أنصفناك أن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك، ثم ضيعناك في كبرك، قال: ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه". أحكام أهل الذمة لابن القيم 38/1.

ومن المواقف السامية -كذلك- في الإنصاف مع غير المسلمين أن شيخ الإسلام رحمه الله حين سعى بإطلاق سراح أسرى المسلمين من التتار وعلم أنهم لم يطلقوا معهم أسرى أهل الذمة، أصر على إطلاق الجميع معا وقال: "بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا، فإنا نفكهم ولا ندع أسيرا لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة" الرسالة القبرصية لابن تيمية.

فهذا انصاف مع أهل الذمة، فكيف لا ننصف أهل الملة؟!

فالله الله في الإنصاف فإن قلته والبعد عنه قد أفسد القلوب وأوقع في الإجحاف.

فالمنصف إن كان في ما مضى يعز وجوده، فاليوم هو أعز وأقل.

قال الإمام مالك رحمه الله في الإنصاف: "لم أجد في الناس أقل منه فأردت المداومة عليه" الديباج المذهب 96/1، وجامع بيان العلم 132/1.

وإذا أردت أن تنصف فاستمع لوصية الإمام ابن حزم رحمه الله حيث يقول: "من أراد الإنصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه فإنه يلوح له وجه تعسفه" مداواة النفوس 80.

ويبلغ الإنصاف منتهاه حينما يتجرد المرء من عواطفه وروابطه وانتماءاته، فهذا الإمام الجهبذ المحدث علي بن المديني رحمه الله يسأل عن أبيه: أثقة هو؟ فيقول: اسألوا غيري، فيُلحُّون عليه فيقول: لا يقبل حديثه.

قال بعضهم:

ولم تزل قلة الإنصـاف قاطـعـة
بين الأنام وإن كانوا ذي رحـم

فعليك بالتحلي بالإنصاف والتخلي عن الظلم والعدوان والاعتساف.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وكذلك العمل، فصاحبه إما معتد ظالم، وإما سفيه عابث، وما أكثر ما يصور الشيطان ذلك بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، ويكون من باب الظلم والعدوان" الفتاوي 482/14.

دفع البهتان عن منهج الدليل والبرهان

بقلم: عبد المغيث موحد

..والواقع أن أي قذف أو اتهام في حق الحركة السلفية العلمية المسؤولة، هو قذف مباشر في حق تراث الأمة، هذا التراث الذي أضحى ليشكل قشرة سميكة نسجها الجيل الأول حول النص التأسيسي، مما سبب وساهم في رفض أي محاولة وإقصاء أي مجهود ونتاج فكري يشذ عن منهجية القراءة والتفسير الذي وضعه الرعيل الأول لهذه الأمة.

تذكرت وأنا أطالع ما جاء في مقال "**رد الإعتبار لحراس المنهج السلفي الأبرار**" يوم اجتمعت بخطيب جمعة محسوب على الملتزمين بالسنة ونحن حول مائدة شاي غير متواضعة إذ بالضافة إلى الشاي كانت هناك حلوى ولحم ودجاج ونحن نتجاذب أطراف الحديث وثلابيب الكلام، الذي اتخذ أشكالا أفقية وأخرى عمودية، دار في خلدي أنها فرصة لمحاورة الرجل فكثيرا ما سمعت عنه وعن فقهه وصدعه بالحق، فكلَّمتُه عن الإتهامات التي تكال للحركة السلفية المباركة، ففاجأني بقوله الذي لا يزال تأثير صفيره على أذني باديا: "إنه كان ولا يزال ينظر إلى ما يصطلح عليه بالسلفية مجرد ظاهرة سيأتي يوم وإن طال الأمد لتتحول من عين إلى مجرد أثر، كما كان شأن العديد من المناهج الدخيلة"، والواقع أن الرجل كان يتكلم بحزم ويقينية بل ظننت أنه ربما نسي أن يستدل في هذا الباب أو إن شئت فقل هذه النافذة بآيات من الذكر وجوامع كلم من السنة، وأنا أستمع له ترجحت عندي ونحن في مناسبة زفاف خشية من أن يقع ما يعكر صفو النفوس ويعقد الموقف ولعلي يومها سلكت مسلك حمل الكلام محمل الأعذار، فقد تكون كثرة الطعام أفضت إلى بطنة أذهبت الفطنة، أو قد يكون الخطيب قد اختلط عليه الأمر فتوهم أن المنهج السلفي ليس إلا جماعة يؤثث سقفها شباب يوزعون عبر نظراتهم الثاقبة تأشيرات الجنة والنار، ومنحة الإيمان ومحنة الكفر، واستحلال الدم أو حرمته، واقتناص حق العقاب خارج منظومة الشرع والقانون، بل ربما يكون الرجل قد عالج موضوع السلفية كدين جديد، جاء ليُدخل الأمة أتون الفتنة وهي تطرق باب الحداثة دينا ودنيا ليجتمع شملها وتتوحد أركانها، مما ساعد في إغراقها في سبل الفرقة والتناحر والتدابر، وربما يكون كلامه وليدا شرعيا لانتصار الذات وتغذية الإنية، زد عن هذا وذاك احتمال أن يكون الرجل فريسة سوء فهم لمحكمات تأكدست بميراث من المعتقدات والمفاهيم التي اختلطت فيها أسباب الفرقة والشقاق من بدع وأهواء.

والحقيقة أنني مع تزاحم الأعذار كنت شاردا متعجبا إذ أن التسليم بما قاله الرجل وهو يساكننا خندقا واحدا فيه ما فيه من الخنوع والإستسلام لما يروج له جيل القنطرة من العلمانيين وأشباههم من الجيل الجديد، الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية تلميع صورة المسلم وتحريك مشروع إلباس الإسلام جبة التطور ولباس الموضة.

والواقع أن أي قذف أو اتهام في حق الحركة السلفية العلمية المسؤولة هو قذف مباشر في حق تراث الأمة، هذا التراث الذي أضحى ليشكل قشرة سميكة نسجها الجيل الأول حول النص التأسيسي مما سبب وساهم في رفض أي محاولة،وإقصاء أي مجهود ونتاج فكري يشذ عن منهجية القراءة والتفسير الذي وضعه الرعيل الأول لهذه الأمة، حسب تعبير وزعم العديد من مجتهدي الحداثة: أهل الحل والعقد الجدد، الذين يفضل معظمهم التعاطي لنصوص الكتاب والسنة كمادة شعرية خام، بيتها مُشرَع الباب أمام كل زائر ومقيم، وهم بين الفينة والأخرى يتساءلون عن سر هذه "الطابوهات" التي نصبها الفقيه السلفي كهالة تحتكر الحق في ملكية النصوص، ملكيِّة مطلقة تحول بينهم وبين أمنية تطويع الشرع بين فكّي المصلحة الشخصية والضرورة الواهية.

ثم إن الاسترسال في ذكر ما يكال من التهم والإفتراءات والشبه الجاهزة للانقضاض عن براءة هذا المنهج وأهله قد لا ينبلج لوقوب غسقه فجرا، ولكن ومع الإقرار بضرورة المواجهة قد لا يحتاج المرء إلى أن يشمر عن السواعد لاستئصال شأفتها، لأنها ولا شك ولدت وهي تحمل بين حشاياها ما سيكفل بفنائها مصداقا لقوله تعالى:"فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ".

ولكنَ بقدر ما لا يحتاج المسلم إلى عملية التشمير تلك، فإنه مطالب بالعمل على إحياء ذهنية المتلقي المغيبة بالفعل السواتر الوهمية، والفواصل اللاهية، التي تحول بينه وبين معرفة الحق والإنتماء لأهله وتلقي الحكمة والانتفاع بها، ولعله من الحكمة وبالتي هي أحسن التسليم بالطرح الذي ينظر إلى المنهج السلفي من زاوية كونه مشروعا يحيلنا على طريقة تدين جيل القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية والتميز، فالسلفية إذن ليست دينا جديدا بقدر ما هي منهج يصبو إلى تجديد الماضي عن طريق إعادة تشكيل وتأثيث الحاضر الديني والدنيوي بما عاشه جيل الأمة الأول الذي نهل من المنابع الصفية، وأخذ عن النبي عليه الصلاة والسلام بالدرس والتلقين والمشافهة، فهي إذن ليست إلا رمادا مخلص لبؤرة الموقد إن صح التعبير، أو هي قراءة تاريخية مدفوعة بهواجس الحاضر وبتوجيه من مشاغله وقضاياه، هدفها الفهم والمعرفة من أجل مواجهة حالة الفوضى والإنحطاط المادي والروحي الذي بات يجثم على أنفاس عامة المسلمين وخاصتهم.

وعليه قد يجد المرء نفسه مستغنيا على الدفاع عن رواد المنهج السلفي المعاصرين وذلك لأمور:

أهمها من جهة ما تميز به اتجاههم الدعوي وفكرهم الإصلاحي، الذي جاء معتمدا على أسلوب التخبير عن جيل الصحابة والتابعين، ومن ثم فالدفاع المشروع يستقرئه المرء من حياة سلوك جيل الأعلام الذي تخرج من مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم، وأخذ عنه يقظة "لا مناما"، وعليه فأي نبز أو بهتان جرى به لسان الرافضة الجدد هو اجتراء ليس في حق المعاصرين بل هو في حق الذين تركهم سيد البشرية على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ومن جهة ثانية: لا نملك إلا أن نقول أن للمسلم كامل الحق للنهل من تراث حضارة الأسلاف، وذلك لما يملكه من مبررات نقلية وعقلية وواقعية، فعلى الأقل لا يجد العاقل أدنى حرج في العودة إلى تاريخ الأعلام يوم كان الواحد من ذلك الرعيل يقرأ القرآن ويسمع الحديث بشعور التلقي الباعث على التنفيذ، فكان أن فتح الله لهم بهذا الحس والشعور آفاقا من العلم والمعرفة والأخلاق، ما كانت لتفتح لهمِ لو أنهم طرقوا أبواب كسرى وهرقل أو لهتوا وراء همٍّ دنيوي صرف.

وهاك إشارة تغنيك عن العبارة: إن رواد الفكر السلفي اليوم وحين يهتمون بسيرة عمر بن الخطاب مثلا، لا يلتفتون إلى الرسم من قامة وهامة ومنكبين، إنما ينحصر همُّهم في التأريخ لعنصر العدل في أبهى صورة في التاريخ الإنساني وليس التاريخ الإسلامي وحسب، تلك الصورة التي بناها صاحبها على أساس اتباع سنة إمامه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهم بذلك يرفعون لواء التحدي بهذا النموذج في وجه ما راكمته المدنية من أساطير وأباطيل وزيف، وهم من خلال نماذج أخرى وما أكثرها لا يسعون إلى ابتداع دين جديد أو يؤصلون لجماعة تحجر واسعا وتقيد مطلقا، فهم يعلمون علم اليقين أنه لا جماعة إلا جماعة المسلمين، وأنه ما لم يكن أيام رسول الله عليه الصلاة والسلام دينا فهو اليوم كذلك ليس بدين.

واقع الأمة من خلال إعراب جملتين

إعداد: وديع غوجان

قال المدرس للتلميذ: أعرب يابني:
"عشق المسلم أرض فلسطين".
قال التلميذ: "نسي المسلم أرض فلسطين".
الأول: فعل مبني فوق جدار الذلة والتهميش والهوان.
والفاعل: مستتر في دولة صهيون ترفعه أمريكان.
والمسلم: مفعول به على رؤوس الأشهاد والعيان.
وأرض فلسطين: ظرف مكان مجرور قسرا مذبوح منذ سنين.
قال المدرس: يا ولدي غيرت فنون النحو وقانون اللغة فإليك محاولة أخرى.
أعرب "صحت الأمة من غفلتها".
قال التلميذ: الفعل ماض ولى والمستقبل مأمول والأمر مكبول ينتظر قدر المولى الذي يقول للشئ كن فيكون.
والتاء: ضمير تخنث وتخاذل.
والأمة: اسم كان رمز السيادة والنصر على أعداء الإسلام وبات اليوم ضمير صمت واستسلام.
ومن حرف جر الغفلة إلى الشبان فباتوا للدنيا عطشى شروها بأغلى الأثمان.
والهاء: نداء رضيع مات أسير الحرمان طال انتظاره للحنان.
قال الأستاذ: ياولدي نسيت اللغة وحرفت معاني التبيان.
قال التلميذ: أستاذي بل إيمان قلَّ، وقلب هجر القرءان، ودين تعرض للهجو من بني علمان، وصمت ساد ينتظر الفرسان.
نسينا العزة والتاريخ والأمجاد نصنعه.
صمتنا باسم السلم وعاهدنا بالاستسلام.
معذرة أستاذي سؤالك حرك أشجاني، وألهب وجداني.
سؤالك نار أحرق كياني، فانبجست منه أحزاني.
معذرة أستاذي نطق فؤادي قبل لساني.

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

من حقوق الطريق

لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم جملة من حقوق الطريق للجالس فيها، وهي على سبيل المثال لا الحصر ما ورد في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والجلوس على الطرقات، فقالوا: ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر" رواه البخاري.

أما غض البصر فالأمر به يشترك فيه الرجال والنساء على حد سواء، والمقصود به غضُّه عما هو حرام، حيث أن اطلاقه يجلب عذاب القلب وألمه.

قال جرير بن عبد الله رضي الله عنه: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري" رواه مسلم، ومعنى نظر الفجأة: أن يقع بصره على الأجنبية من غير قصد.

وكف الأذى: أي عدم إيذاء الناس في أبدانهم أو أعراضهم، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.." رواه البخاري ومسلم.

ورد السلام: أي بعد إلقائه عليك، وهو واجب لقوله عليه الصلاة والسلام: "خمس تجب للمسلم على أخيه، رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز" رواه البخاري ومسلم.

وقد قصر في هذا الباب خلق كثير، واقتصر سلامهم على المعرفة، فمن عرفوه سالموا عليه أو ردوا عليه سلامه، ومن لم يعرفوه لم يعيروه اهتماما وهذا خُلقٌ مخالفة للسنة.

وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر: قال عمر رضي الله عنه: "من سره أن يكون من تلك الأمة -أي: قوله تعالى: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"- فليؤد شرط الله فيها.

ومن لم يتصف بهذه الشعيرة العظيمة فله شبه من أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله تعالى: "كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ".

إلا أنه ينبغي أن يعلم أن هذا الباب يقوم على فقه ودراية فينبغي الأمر بالمعروف بمعروف وينهى عن المنكر بلا منكر.

من هم محارم المرأة الذين يجوز لهم الخلوة بها والنظر إليها؟

لما بعد كثير من الناس عن تعاليم الإسلام وأحكام الدين، خاصة تلكم التي تحفظ الفروج والعورات، وتسد الذريعة إلى إختلاط الأنساب والمياه، وتحول دون ارتكاب المنكرات: وقع الناس في مستنقع الرذيلة والفاحشة وساعد على ذلك تمكن أعداء الإسلام من المرأة حتى أوقعوها في براثن الضياع وقلة الحياء بدعوى تحريرها، وهم في الواقع أرادوا أن يحرروها من دينها وحيائها وعفتها.

ومن هذه الأحكام الشرعية: معرفة المرأة لمحارمها من غيرهم حتى تحفظ نفسها ودينها فنقول وبالله التوفيق:

قال النووي رحمه الله: عندما وجه إليه سؤال: ما حقيقة التي هي محرم له، وله النظر إليها والخلوة بها؟ فأجاب رحمه الله: "هي كل من حرم عليه نكاحها على التأبيد بسبب مباح لحرمتها. وقولنا (على التأبيد) إحتراز من أخت المرأة ونحوها (أي: عمتها وخالتها وبنتها إذا عَقَد على الأم ولم يدخل بها)، وقولنا: (بسبب مباح) احتراز من الأم الموطوءة بشبهة وبنتها، فإنهما محرمتان على التأبيد لكن لا بسبب مباح، فإن وطء الشبهة لا يوصف بأنه مباح ولا حرام، لأنه ليس فعل مكلف لأن الغافل ليس مكلفا.

وقولنا: (لحرمتها) احتراز من الملاعنة فإنها محرمة على التأبيد بسبب مباح لكن لا لحرمتها بل عقوبة لهما والله أعلم" الفتاوي المسمى بالمنثورات للنووي، المسألة 223.

قال تعالى: "وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ".

قال ابن كثر رحمه الله: "لِبُعُولَتِهِنَّ: أي لأزواجهن.

ومن قوله: أَوْ آبَائِهِنَّ... إلى آخر الآية: قال رحمه: كل هؤلاء محارم للمرأة يجوز للمرأة أن تظهر عليهم بزينتها من غير تبرج" تفسير ابن كثير 284/3.

وتفسير المحارم هم كالآتي:

1- أَوْ آبَائِهِنَّ: هو أبو المرأة.

2- أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ: هو أبو الزوج، والأجداد وإن علَو.

3- أَوْ أَبْنَائِهِنَّ: إبن المرأة وإن سفلوا، وكذلك أبناء البنات وإن سفلن.

4- أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ: ذكور أولاد الزوج، ويدخل فيه أولاد الأولاد وإن سفلوا، من ذكران كانوا أو إناث.

5- أَوْ إِخْوَانِهِنَّ: أخو المرأة.

6- أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ: أبناء الأخ وإن سفلوا.

7- أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ: أبناء الأخت وإن سفلوا.

8- أَوْ نِسَائِهِنَّ: أي نساؤهن المسلمات ليس المشركات على الراجح.

9- أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ: فيه قولان:

أ- المراد الإماء الكتابيات.

ب- المراد المملوك الرجل.

10- أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ: قيل: الذين ليسوا بأكفاء وهم مع ذلك في عقولهم وَلَه، ولا همة لهم إلى النساء ولا يشتهونهن، وقيل: المغفل الذي لا شهوة له، وقيل: هو الأبله، وقيل: المخنث الذي لا يقوم ذكره، أما المخنث الذي يصف فلا يعد من غير أولي الإربة.

11- أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ: يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن، فإذا كان الطفل صغيرا لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء، فأما إن كان مراهقا أو قريبا من ذلك بحيث يعرف ذلك ويدريه ويفرق بين الشوهاء والحسناء فلا يمكن من الدخول على النساء.

يقال طفل: ما لم يراهق الحلم، يظهروا: أي لم يبلغوا أن يطيقوا النساء.

فائدة:

هل يدخل العم والخال في المحارم؟

قال القرطبي: الجمهور على أن الخال والعم كسائر المحارم في جواز النظر لهما إلى ما يجوز لهم.

فائدة:

هل زوج البنت محرم لأمها؟

قال ابن كثير: جمهور العلماء على أن أم الزوجة تحرم بمجرد العقد.

فائدة:

هل زوج الأم يعد محرما لابنتها (الربيبة)؟

لا يعد زوج الأم من محارم ابنتها إلا إذا توفر شرطان كما قال ابن حجر رحمه الله في الفتح: "التحريم جاء مشروطا بأمرين:

أ- أن تكون في الحجر.

ب- أن يكون الذي يريد التزويج قد دخل بالأم.

فلا تحرم بوجود أحد الشرطين".

وإلى هذا ذهب داوود بن علي وأصحابه، واختاره ابن حزم وحكاه أبو القاسم الرافعي عن مالك رحمه الله، وقد استشكله الإمام ابن تيمية وتوقف فيه.

وذهب الجمهور على أن الربيبة حرام، سواء كانت في حجر الرجل أو لم تكن في حجره. انظر تفسير ابن كثير وفتح الباري.

الخمر أم الخبائث

من أنواع الاستهتار بأحكام الدين والشرع الذي تفشى في زمننا هذا بين بعض المسلمين على مختلف أعمارهم: تعاطي شرب الخمور والمسكرات دون حياء من رب الأرض والسموات، بل بلغ الحال ببعضهم -كما أخبر الصادق المصدوق- صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح إلى تسمية ذلك بغير اسمه.!

فصدهم ذلك عن اجتناب نواهي الله جل وعلا وطاعته وذكره، وأوقع الشيطان بينهم العداوة والبغضاء فحدث من جراء ذلك من الفساد العريض ما الله عز وجل به عليم وبصير.

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ".

قال القرطبي رحمه الله: "(فَاجْتَنِبُوهُ): يريد أبعدوه واجعلوه ناحية فأمر الله تعالى باجتناب هذه الأمور، واقترنت بصيغة الأمر مع نصوص الأحاديث وإجماع الأمة، فحصل الاجتناب في جهة التحريم، فبهذا حرمت الخمر، ولا خلاف بين علماء المسلمين أن سورة المائدة نزلت بتحريم الخمر وهي مدنية من آخر ما نزل" الجامع لأحكام القرآن 269/6.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بتسع (فذكر منها): "..ولا تشربن الخمر فإنها مفتاح كل شر.." صحيح الأدب الفرد.

ومعنى ذلك أن الإنسان يفقد عقله، وبذلك قد يقع في الشرك والكفر والزنا وشهادة الزور وسائر الخبائث والفواحش ويؤكد هذا قوله عليه والصلاة والسلام: "الخمر أم الفواحش، وأكبر الكبائر، من شربها وقع على أمه وخالته وعمته" الصحيحة، وفي رواية: "الخمر أم الخبائث" الصحيحة.

وقال عثمان رضي الله عنه عن الخمر: "فاجتنبوها فإنها أم الخبائث وإنه والله لا يجتمع الإيمان والخمر في قلب رجل إلا يوشك أحدهما أن يذهب بالآخر".

قال أحد العلماء في معنى ذلك: "أن شارب الخمر إذا سكر يجري على لسانه كلمة الكفر، ويتعود لسانه بذلك ويخاف عند موته أن يجري على لسانه كلمة الكفر، فيخرج من الدنيا على الكفر فيبقى في النار أبدا لأن أكثر ما ينزع الإيمان من العبد إنما ينزع عند موته، وذلك بسبب الذنوب التي فعلها في حياته فيبقى في حسرة وندامة".

وأثر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "لعن في الخمر عشرة: العاصر لها، المعصورة له، شاربها، وساقيها، وحاملها، والمحمولة إليه، وتاجرها، وبائعها، ومشتريها، وشائلها (غارسها)".

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

محبة الله ورسوله أساس الإيمان

محبة الله ورسوله غاية قصوى، يتوخاها المسلم في أمره كله، ويسعى لنيلها صباح مساء، ويضحي لأجلها بكل أمر من أمور الدنيا، إذ هي حجر الزاوية التي يقيم المسلم عليها بنيانه الإيماني، وهي المعيار والمقياس التي يعرف من خلالها المؤمن مدى علاقته بالله ورسوله، قربًا وبعدًا، وقوة وضعفًا.

والطريق الموصلة إلى هذه المحبة طاعة الله ورسوله، وقد قال تعالى: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ"، وقال سبحانه: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ".

وقد أرشد التوجيه القرآني المسلم، أن يلحظ في سلوكه كله هذا الأساس، فلا يقدم أمرًا من أمور الدنيا على محبة الله ورسوله، وتوعد سبحانه من يقدم أمر الدنيا على أمر الدين بالعقاب الأليم، عاجلاً أو آجلاً.

وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان مع جمع من أصحابه رضي الله عنهم، بينهم عمر رضي الله عنه، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء، إلا من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك"، فقال له عمر: فإنه الآن -والله- لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الآن يا عمر" البخاري.

وقد جاء في القرآن الكريم في هذا المعنى قوله تعالى: "قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ".

ذكر الواحدي في أسباب النزول، أنه لما أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة، جعل الرجل يقول لأبيه، وأخيه، وامرأته: إنا قد أُمرنا بالهجرة، فمنهم من يسارع إلى ذلك، ومنهم يتباطأ عن ذلك -تعلقًا بزوجته، وولده، وأهله- يقولون له: نشدناك الله أن تدعنا وتتركنا، فنضيع، فيشفق من فراقهم، ويرق لحالهم، فيجلس معهم، ويدع الهجرة، فنزل في ذلك قوله تعالى يعاتبهم: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء.." الآية..

وما ذُكر من سبب نزول هذه الآية، يبين مقصودها، وهو أن على المؤمن حق الإيمان، أن يقدم أمر الدين على أمر الدنيا عند التعارض، ولا ينبغي بحال من الأحوال أن يقدم أمر الدنيا على الآخرة.

ثم إن الآية الكريمة -وعلى ضوء سبب نزولها- أفادت أمورًا مهمة، ينبغي على المسلم أن لا يغفل عنها، نذكر منها:

أولاً: أن المقصود من محبة العبد لله ورسوله، العمل بما أمرا به، وترك ما نهيا عنه، فإن ذلك مدعاة لمحبة الله للعبد، والرضا عنه، وقد قيل: إن المحب لمن يحب مطيع. فليست المحبة إذن شعورًا عاطفيًا فحسب، وإنما هي قبل هذا وبعده، سلوك عملي، يمارسه المسلم على أرض الواقع، ويجسده في كل حركة من حركاته، فهي أولاً طاعة لله ورسوله، وهي ثانيًا حُسن تخلُّق مع الناس. وقد زعم قوم - كما قال بعض السلف - أنهم يحبون الله، فابتلاهم الله بهذه الآية: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"، وهذه الآية تسمى آية المحنة، لأن اتباع ما أمر الله به ورسوله، هو الذي يصدق تلك المحبة أو يكذبها.

ثانيًا: دلت الآية على أن محبة الله ورسوله، يتعين تقديمهما على محبة كل شيء، وجعل جميع الأشياء تابعة لها، فإذا وقع تعارض بين أمر ديني، وأمر دنيوي، وجب على المسلم ترجيح أمر الدين على أمر الدنيا، لأن الدين هو الأساس، والدنيا تبع له، ولأن الدين هو الغاية، والدنيا وسيلة إليه.

قال بعض أهل العلم: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم، وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة، وعلامة حب الله، وحب القرآن، وحب النبي صلى الله عليه وسلم، وحب السنة، حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة، أن يحب نفسه، وعلامة حب نفسه، أن يبغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا، ألا يأخذ منها إلا الزاد والبلغة.

مع المصطفى صلى الله عليه وسلم

إذا سألت فاسأل الله

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى، إما بموت عاجل أو غنى عاجل" صحيح الجامع 6041.

من أجل مقاصد الشريعة الإسلامية صيانة شخصية المسلم عن التبذل، وحفظ ماء وجهه عن المهانة، وهذا منبثق من عقيدة صافية خالصة تربط المسلم دائما بالله القدير، في السراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره.. لأنه تعالى الغني بإطلاق، المعطي المانع، الضار النافع، الخافض الرافع، القوي الجامع فالمؤمن في دوحة الإسلام قلبه معلق بالسماء، إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، هو تعالى حسبه وعضده ونصيره، به يصول وبه يجول.

"من أصابته فاقة" أي حاجة شديدة وأكثر استعمالها في الفقر وضيق المعيشة "فأنزلها بالناس" أي عرضها عليهم وأظهرها بطريق الشكاية لهم وطلب إزالة فاقته منهم، وخلاصته أن من اعتمد في سدها على سؤالهم "لم تسد فاقته" أي لم تقض حاجته ولم تزل فاقته، وكلما تسد حاجة أصابته أخرى أشد منها، لتركه القادر على حوائج جميع الخلق الذي لا يغلق بابه وقصد من يعجز عن جلب نفع نفسه ودفع ضرها.

"ومن أنزلها بالله" بأن اعتمد على مولاه "أوشك الله" أي أسرع وعجل "بالغنى" أي اليسار "إما بموت عاجل" قيل بموت قريب له غني فيرثه، ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى: "وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ".

"أو غنى" أي يسار "عاجل" أي بأن يعطيه مالا ويجعله غنيا أنظر عون المعبود 46/5، وفيض القدير للمناوي 132/2.

وسؤال الله تعالى وحسن الالتجاء إليه مع الاستعفاف عن سؤال الناس أصل عظيم من أصول الدين شواهده كثرة من الكتاب والسنة، قال تعالى "لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ" البقرة، قال المفسرون: (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ) أي بحالهم (أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ) أي من أجل تعففهم عن السؤال والتلويح به قناعة بما أعطاهم مولاهم ورضا عنه وشرف النفس.

قال ابن الجوزي رحمه الله: "لما تلمحت تدبير الصانع في سوق رزقي بتسخير السحاب وإنزال المطر برفق، والبذر دفين تحت الأرض كالموتى قد عفن ينتظر نفخة من صور الحياة فإذا أصابته اهتز خضرا، وإذا انقطع عنه الماء مد يد الطلب يستعطي وأمال رأسه خاضعا ولبس حلل التغير، فهو محتاج إلى ما أنا محتاج إليه من حرارة الشمس وبرودة الماء ولطف النسيم وتربية الأرض، فسبحان من أراني كيف تربيتي في الأصل، فيا أيتها النفس التي قد اطلعت على بعض حكمه قبيح بك والله الإقبال على غيره، ثم العجب كيف تقبلين على فقير مثلك، يناديني لسان حاله (بي مثل ما بك)، فارجعي إلى الأصل الأول واطلبي من المسبب، ويا طوبى لك إن عرفتيه، فإن عرفانه ملك الدنيا والآخرة)صيد الخاطر.(

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

المعرض الدولي للكتاب والنشر بالدار البيضاء في دورته 13 فضاء لنشر الفكر العلماني والشذوذ الجنسي عن طريق منع الكتاب الديني

بقلم: إبراهيم بيدون
أحمد السالمي

"يقولون أن المعرض الدولي للكتاب والنشر هو مناسبة لحوار الحضارات وتلاقح الثقافات وتبادل الأفكار..، وما دام أن الكتاب الإسلامي يدعو لخلاف ذلك فنحن قد منعناه من العرض، وإن كنا قد تجاوزنا الحدود في ذلك فهذا من صميم معتقدنا الذي ندين به للآخر، صاحب الفكر العلماني المتفتح والمحارب للفكر الإسلامي المنغلق".

لسان حال منظمي المعرض

عرفت مدينة الدار البيضاء خلال الأيام الممتدة من 9 إلى18 فبراير المنصرم فعاليات المعرض الدولي الثالث عشر للنشر والكتاب، وشارك في هذه الدورة حوالي 59 بلدا 620 عارضا مباشرا وغير مباشر، وحوالي مائة ناشر من مختلف بلدان العالم، إضافة إلى أزيد من مائتي مفكر، ومؤلف، ومنشط ثقافي، مغاربة وأجانب، كما عرفت مشاركة لدور نشر إفريقية من خلال المشاركة المباشرة لخمس عشرة دولة إفريقية وتسع دول بشكل غير مباشر، وقد سعى المنظمون أن يشكل المعرض ملتقى مفتوحا للجمهور وفضاء للقاء والحوار من خلال مجموعة من الندوات واللقاءات العلمية والمعرفية.

كل هذا الإنفتاح لم يُنس القائمين على المعرض وعلى رأسهم وزير الثقافة الذي ترأس حملة قبل المعرض أعلن فيها التدابير التي اتخذها بخصوص أنشطة المعرض، وأكد كثيرا على موقفه السلبي من الكتاب الإسلامي وأنه حاسم في منع عرضه في أروقة المعرض، بل سيمنع دور النشر التي تنشر الكتاب الإسلامي، وفي هذا الإطار جاء عنه أنه قال بلغة مباشرة: " **نحن لسنا لنا سلطة المنع وإنما نرفض كل ناشر يخل بقانون العارض.. نحن حاسمون في قرارنا تجاه الكتاب الديني**"، ويعني بذلك منعه، ومما يوضح ذلك تصريحه في ندوة صحفية بالمعرض قال فيها: "**أن هيمنة الكتاب الديني لا فائدة منه ولا يخدم المعرض في شيء، ورفض أن يظل صنف واحد من الكتب هو المهيمن في إشارة منه للكتاب الإسلامي، وأشار إلى رغبته في التمكين لكتب الفلسفة والتاريخ والاقتصاد والعلوم البحتة!!**".

ولقد أعربت لنا عدد من الدور أن بعضا من عناوين كتبها التي كانت تعتزم المشاركة بها قد تم منعها من طرف القائمين على المعرض، معربين عن استغرابهم الواضح من هذا المنع الذي طال مجموعة هامة من الكتب، ومتسائلين عن طبيعة المعايير التي تم اعتمادها من طرف وزارة الثقافة المغربية لتمنع هذا الكتاب وتمكن للآخر.

وهناك دور أخرى منعتهم الوزارة هذه السنة من توزيع بعض الكتب مجانا على زوار المعرض، في إطار الخدمات المتنوعة التي يعملون على تقديمها لزبنائهم لتحبيبهم على قراءة الكتب التي تعرف بشرائع الإسلام.

وقد طال هذا المنع أزيد من خمسين دارا حرمت من فرصة عرض كتبها داخل أروقة الدورة الثالثة عشر للمعرض الدولي للكتاب، ووصف الأشعري هذه الدور الممنوعة بـ "سماسرة الكتاب الديني".

وفي رده على هذا القرار وصف محمد سالم عدنان نائب رئيس اتحاد الناشرين العرب، قرار إدارة المعرض الدولي بالدار البيضاء، بإبعاد ناشري الكتب الدينية من المشاركة في الدورة: "بأنها خطوة سافرة إلى الوراء، تروم طمس هوية الثقافة العربية الإسلامية وتمارس هواية الرقابة على الكتاب بمزاجية وعشوائية".

الحضور العلماني داخل المعرض

لقد عرفت هذه التظاهرة الفكرية والأدبية مشاركة العديد من الشعراء والروائيين والأدباء ذوي الفكر العلماني المتشبع بأفكار الغرب والفلاسفة، كعبد الله العروي، فاطمة المرنيسي، محمود درويش، أدونيس، سعيد الكفراوي، محمد الطوزي، محمد أركون ومالك شبل..

في حين لم تتم دعوة أي شاعر أو أديب إسلامي يحمل لواء الدفاع عن الثوابت والمقدسات التي على رأسها الوحيين القرآن والسنة، كأمثال حسن الأمراني وعبد الرحمن العشماوي وغيرهم كثر..



ومن العار أن يُقصى الداعون إلى الإسلام ويفتح المجال لأمثال محمد أركون الذي كان من الحكماء الأربعين الذابين عن علمانية فرنسا والمروجين لها، والذين أفتوا رئيس الدولة المذكورة "جاك شيراك" بمنع الحجاب في فرنسا، بل يكرمون ويقال لهم تكلموا كيفما وأينما شئتم فأنتم من يصحح الأفهام وينير درب الحداثة للمغاربة المنغلقين المتخلفين.

ومن هؤلاء كما ذكرنا "أدونيس"، كبير كهنة عقيدة الحداثة، الذي يُسائل في شعره كاهنة الأجيال بقوله:

"..كاهنة الأجيال..
قولي لنا شيئا عن الله
الذي يولد عن جماجم السماء..".

فأين هو من قول الله تعالى: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ"، أوليس هذه هي الحداثة العلمانية التي تدنس كل مقدس؟

هذا المُحْدَث! يستدعيه العلمانيون المغاربة لينشر شعره الحداثي المناقض للعقيدة الإسلامية، حيث ألقى محاضرة تطرق فيها إلى علاقته بالشعر والثقافة العربيتين واعتبرهما حبيستي التأويل المؤسس للنص الديني، وفي معرض كلامه قال: **أن لا اعتراض له على التجربة الدينية ما دامت تجربة شخصية لا تتجاوز حدود الفرد المؤمن** (وهذا الكلام لب الفكر العلماني)، **وثالثة أثافيه أنه أكد على حق الإنسان في أن لا يؤمن، وأن حق اللادينين يجب أن يكون مقدسا كحق التدين**.

وأما محمد أركون فيقول في (كتابه الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص191): "إن المعطيات الخارقة للطبيعة والحكايات الأسطورية القرآنية سوف تتلقى بصفتها تعابير أدبية، أي تعابير محورة عن مطامح ورؤى وعواطف حقيقية يمكن فقط للتحليل التاريخي السيولوجي والبسيكولوجي اللغوي، أن يعيها ويكشفها".

وأما فاطمة المرنيسي فهي قاهرة الطابوهات بالمغرب، وإحدى الباحثات المغربيات التي لا تخشى أن تنبش في الطابوهات لتحريتها والكشف عن خباياها تعمدت تجاوز مختلف العتبات المفروضة قسرا لتسليط الأضواء على كل ما تعتبر أنه يكنفه ظل ما، من مؤلفاتها كتاب: "الحريم السياسي، النبي والنساء" الذي نشر سنة 1987م، وهو كتاب منع نشره مع أطروحتها المعنونة بـ "الجنس كهندسة اجتماعية"، وكذلك كتاب "الحجاب والنخبة الذكورية".

وأما عبد الله العروي فقال عنه الدكتور مفرح القوسي: "كاتب مفكر مغربي معاصر، ومن أشهر الماركسيين العرب، مختص بالدراسات التاريخية".

وقال عن كتابه (العرب والفكر التاريخي): "الذي تبنى فيه الماركسية، واجتهد في الدعوة إلى الأخذ بها، بوصفها نظاماً فكرياً متكاملاً، يزود معتنقيه بمنطق العالم الحديث! - على حد تعبيره- ويتناسب مع كل فئات المجتمع المسلم"!!.

إن الأمر لم يقتصر على الكتاب العلمانيين الذين يتكلمون باسم الدين وهم بمنأى عن الوحيين، بل تعدى إلى استضافة الكاتبة التونسية اليهودية "جيزيل حليمي" التي نشرت آخر كتبها تحت عنوان "الكاهنة"، وهي التي قالت لإحدى المجلات الأسبوعية المغربية بأن الإسلام يقيد حرية المرأة المغربية، مثله مثل كل الديانات السماوية التي تنتقص من قيمة المرأة.

فهل من أجل ترويج فكر هؤلاء العلمانيين منع الكتاب الديني الذي يُعلِّم وينافح عن الإسلام المبني على نصوص

هل الدعوة إلى الشذوذ والترويج لزنا المحارم يدخل ضمن التنوع الثقافي الذي من أجله منع وزير الثقافة الكتاب الإسلامي؟

المعرض استغل للتعريف والترويج لفكر الشواذ جنسيا

إن من أهم الأنشطة الثقافية -مجازا- التي عرفها المعرض تلك التي تمحورت حول موضوع "الأدب المغربي الجديد المكتوب باللغة الفرنسية"، فهذا كان عنوان الدائرة المستديرة التي نظمتها وزارة الثقافة، وشارك فيها مجموعة من الكتاب على رأسهم الكاتب الشاذ والمتبجح بشذوذه "عبد الله الطايع" الذي يحلو له أن يتحدث في كتبه عن مغامراته الجنسية الشاذة، فهو من كبار الدعاة المثليين، سافر إلى فرنسا ليجد نفسه ويشبع ميولاته، لذلك تقدمه الصحافة الفرانكفونية ككاتب متحرر وثائر على التقاليد والمتجرئ على اقتحام الطابوهات، دعته وزارة الثقافة لكي يقدم كتبه ويعلن شذوذه أمام كاميرات القناة الثانية راعية المد العلماني، والتي لم تتورع عن بث ورقات حوله لمرات عديدة، إشهارا منها بالمجان لشذوذه.

هذا الشاذ الذي سبق له أن صرح منتقدا للمغاربة على صفحات إحدى الجرائد المغربية: "المجتمع المغربي ينبني أساسا على مكون العائلة والعشيرة، ويقتل "فردية" الإنسان، فأن تعبر عن فرديتك داخل المجتمع المغربي، حتى وإن لم تكن مثليا، يبقى أمرا صعب المنال، فما بالك أن تكون مثليا وتعبر عن رغباتك".

ثم إن من بين الضيوف المشاركين في المعرض الكاتبة الفرنسية "كريستين أنغو" التي اشتهرت بكتابها "زنى المحارم" والذي تتحدث فيه عن علاقتها الجنسية مع والدها، هذا الكتاب الذي أثار حفيظة الفرنسيين رغم علمانيتهم، فما بال الوزارة المعنية بثقافة الشعب المغربي المسلم لا تنتقي ضيوفها؟ أم أن الأدب الجنسي سيكون من ضمن الألوان التي ستسيطر على الأدب في المغرب؟

وهل الدعوة إلى الشذوذ والترويج لزنا المحارم يدخل ضمن التنوع الثقافي الذي من أجله منع وزير الثقافة الكتاب الإسلامي؟

وهنا لابد أن نشير إلى العمل الخطير الذي تقوم به الحركة الفرونكفونية من تمييع للأدب العربي والإسلامي وترويج مثل كتب ومؤلفات "عبد الله الطايع" و"كريستين أنغو"، حتى تخدم توجهاتها لتجعل من الدول العربية دولا تابعة لها في التفكير والإبداع والأدب كما جعلت من قبل النظم الدراسية المتبعة في هذه الدول لا تخرج عن نظمها.



الكتاب والسنة؟

الكتاب الإسلامي مُنع لأن مؤلفيه من علماء الإسلام ودعاته ما فتئوا ينبهون ويحذرون من خطورة الفكر العلماني في هدم كيان الأمة، والذين تولوا مهمة الدفاع عن مقدسات الإسلام وحرماته، فكتب التفسير والحديث ودواوين الإسلام كلها تدعو إلى الاستجابة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والمغربي إذا استجاب للوحيين حارب ما يناقضهما ومن تم كان الحل عند منظمي المعرض إقصاء الكتاب الإسلامي والدعاية للكتاب العلماني.

الأشعري ودعوى الإنفتاح والتنوع الثقافي!!

لقد اعتبر وزير الثقافة أن هدف المعرض هو الانفتاح على كل الثقافات للحفاظ على التنوع الثقافي واللغوي والتعامل مع دور النشر المعروفة من مختلف أنحاء العالم، فمما قاله بهذا الخصوص: "**ولهذا فكل ما نعمله اليوم في المجال الثقافي مرتبط بهذا الاختيار وهو المحافظة على التراث في إطار إعادة الاعتبار للتنوع الثقافي المغربي واعتماد هذا التنوع أساسا لتقديم صورة مغرب مختلف، مغرب غني بتعدده، مغرب قوي بإرثه الحضاري والثقافي**".

وهنا لابد أن نوجه للوزير سؤالا مفاده، ألا ترون أن دعوى التنوع تلزمكم بعدم منع الكتاب الديني والدور التي تنشره؟

بل أليس من صميم الحفاظ على الإرث الحضاري والثقافي (بتحفظ) تشجيع نشر وعرض الكتاب الديني لأننا دولة مسلمة؟

ولعل جواب الوزير هو ما صرح به في حوار أجرته معه إحدى الصحف بعد انتهاء المعرض قال فيه: "**إن الذين يتحدثون عن منع وزارة الثقافة للكتاب الإسلامي، مخطئون.. أما الكتاب الديني فهو موجود في أروقة المعرض..**"

وردا على ذلك، لعل الوزير غيَّر خطابه الشديد تجاه الكتاب الديني، وهذا لأن الوزير لا يملك من الجرأة ليفصح عن تحيزه الإيديولوجي ضد الكتاب الإسلامي، وإلا لماذا منعت قرابة خمسين دارا مشهورة على الصعيد العالمي بنشرها لهذا النوع من الكتاب منها على سبيل الذكر لا الحصر دار الحديث، دار طيبة، دار علوم الحكم، دار السلفية، دار القلم، دار ابن كثير، دار ابن حزم..

وإذا كان مسموحا للكتاب الديني بالعرض فلِمَ اشتكت الدور المسموح لها من الضغوط المفروضة عليها، بل هم صرحوا بأن ما عرضوه من الكتاب الديني إنما هو على سبيل المغامرة -التهريب-، ومما يؤكد ذلك أنه عند تواجدنا بالمعرض قدم بعض المشرفين على الرقابة واستنكروا على إحدى هذه الدور.

ثم إن استنكار محمد سالم عدنان نائب رئيس اتحاد الناشرين العرب، دليل على هذا المنع، ولقد قام المفتش العام لحزب الإستقلال بجهة الرباط-سلا-زمور-زعير بكتابة مقال ينتقد فيه هذا العمل الإقصائي لوزارة الثقافة تجاه الكتاب الديني..، وكذلك مقاطعة المهدي المنجرة للمعرض، والسبب كما يقول هو المنع الذي مارسه الأشعري على الكتب بدعوى أنها كتب ظلامية فيكون قد مارس الرقابة التي ليست من حقه، بل من حق وزارة الأوقاف..، والذين يتولون مهمة الحسبة -إن هم وجدوا-.

وخدمة لهذا النهج الإقصائي فقد منحت الوزارة المعنية دور نشر أجنبية امتيازات وإكراميات واستضافات على حساب دور عربية إسلامية وذلك زيادة في التضييق، فما سلمت الدور المنوعة ولا العارضة من شطط الوزارة وهذا عين التطرف الفكري..، وقد اعترف الوزير بهذه السياسة المقصودة رجاء النهوض والرقي بحال المعرض، لأن المعارض السابقة كانت تباع فيها كتب الشعوذة والبخور وأصناف من المعرفة الظلامية.

فهل الكتاب الإسلامي الذي كان يهيمن على المعارض السابقة هو من قبيل كتب الشعوذة والبخور؟ وهل المصحف برواية حفص عن عاصم، وصحيحي البخاري ومسلم، والموطأ والمدونة، وتفاسير القرآن هي من أصناف المعرفة الظلامية؟ سبحانك هذا بهتان عظيم، ثم إذا كان الوزير يحارب كتب الشعوذة، فلماذا عرضت العديد من كتب السحر والخرافات والأبراج، وكتب الجنس والشذوذ؟!

إن منهج الوزير في حربه ضد الإسلام وقيمه وثوابته بقصد أو بغير قصد، يظهر جليا فيما يوليه من اهتمام كبير بالمهرجانات والمواسم التي تنتشر فيها المخالفات الشرعية والقانونية بشتى أنواعها.

إن سماح الوزير بنشر الكتب التي تهاجم شرائع الإسلام مثل كتب فرج فودة ومن على شاكلته، ثم بالمقابل منعه للمصحف برواية حفص، وتضييقه على الكتاب الإسلامي في المعرض الدولي -الذي هو مناسبة لتعريف الآخر بديننا الإسلامي وبسماحته وقيمه وأنه منهج حياة يربط العبد بربه، وينظم علاقته بغيره- ،يظهر بجلاء إصرار العلمانيين على خوض حربهم الإيديولوجية ضد الثقافة الإسلامية لكونهم يعتبرون أن نشر الكتاب الإسلامي ورقة تخدم مصالح وتوجه التيارات والأحزاب المنافسة لهم في اللعبة السياسية، ضاربين عرض الحائط بهوية المغاربة المسلمين مادام المنع والتضييق يخدم فكرهم العلماني المأفون ..



العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

لماذا اخترنا الملف؟

ما أسهل الشعارات عندما تنمق وتنطلق بها الحناجر وترفع بها اللافتات، ولكن ما أصعب اكتشاف أو استشفاف الحقائق القابعة وراءها، والنوايا المستترة خلفها عندما يكون أربابها دون مستوى الشبهات.

لقد أصبح ما يزعم دعاة التغريب أنه -علمانيـــة ليبرالية متفتحة قابلة للحوار والتعددية- إلى دينا جديدا يفرض نظاما شموليا بهيمنة ديكتاتورية فوقية على الشعوب، ولكن لا عجب، فهذا الأسلوب يلجأ إليه من يشعر بالانهزام والتراجع أمام زحف التقدم الإسلامي في الوطن العربي والإسلامي، ولهذا وقعوا في ذلك التناقض الصارخ، وحاولوا بكل ما أتوا من قوة أن يعملوا على إلغاء كل ما له صلة بالشريعة من قريب أو بعيد.

إن من جملة المطالب الجديدة لبني علمان إلغاء عقوبة الإعدام، وإصرار الجمعيات الحقوقية على الضغط على كافة الدول المسلمة بغية إلغاء هذه العقوبة، باعتبارها عقوبة وحشية، لم تف بالمقصود من تقليص نسبة الجرائم أو الحد منها، وأن الذي له حق سلب روح الإنسان هو من وهب له الحياة فقط؟

والحضارة الغربية التي تدعم هذه الدعوات تعاني نفسها الأمرين جراء سنها لتلك القوانين الوضعية، فنحن نشهد ظهور الجريمة المنظمة والصور العديدة التي تأخذها "المافيا" والتعاون ما بين بعض العصابات وسياسيين أو أجهزة أو مؤسسات وأخيراً شيوع الفساد بين المسئولين الحكوميين.

إن الدول الاستعمارية التي ترفع شعارات "حقوق الإنسان" اليوم، كانت ولا تزال أظلم بني الإنسان للإنسان خصوصا تلك الشعوب التي ليست من جنسهم وذلك خلال القرنين المنصرمين.

ومع ذلك يظن البعض أن إلحاحهم -مثلا- على إلغاء عقوبة الإعدام إنما هو بسبب الرقة، أو المشاعر الإنسانية الجياشة المرهفة التي تنظر إلى عقوبة الإعدام على أنها عمل شرير وغير حضاري، ولكن الحقيقة تبدو أبعد من ذلك بكثير..

ثم إن هذه الجمعيات الحقوقية استغلت موت الرئيس العراقي الراحل صدام حسين رحمه الله لتركب على مشاعر الملايين من أبناء الأمة من جديد لتعديل القانون الجنائي وإلغاء عقوبة الإعدام، علما أن المطالبة بإلغاء هذه العقوبة قديمة وليست وليدة اليوم.

لكل هذه الأسباب وغيرها ارتأت جريدة السبيل فتح ملف في الموضوع محاولة منها إبراز رؤية شمولية توضح الأهداف الخفية وراء هذا الإصرار العجيب لإلغاء هذه العقوبة التي لطالما ردعت الجريمة وقلصت من استشرائها واستفحالها رغم كونها كانت نادرة التطبيق..

نبذة تاريخية عن عقوبة الإعدام وتنوع أشكال تطبيقه

الملف من إعداد: نبيل غزال

كانت القوانين الوضعية حتى أواخر القرن الثامن عشر تنظر إلى المجرم نظرة تفيض عنفاً وقسوة، وكان أساس العقوبات المبالغة في الإرهاب والانتقام والتشهير، وكان من العقوبات المقررة المعترف بها قانوناً: الحرق، والصلب، وتقطيع الأوصال، وصلم الآذان، وقطع الشفاه واللسان، والوشم بأداة محماة في النار، ولبس أطواق من الحديد، والنفي، والجلد، والحبس.

ولم تكن العقوبات في الغالب تتناسب مع أهمية الجرائم التي قررت لها، فبالرغم من قسوة بعض العقوبات التي ذكرناها وفظاعة بعضها كانت عقوبة الإعدام جزاء لكثير من الجرائم البسيطة، فمثلاً كان القانون الإنجليزي حتى آخر القرن الثامن عشر يعاقب على مائتي جريمة بعقوبة الإعدام، ومن هذه الجرائم سرقة أكثر من "شلن" من شخص ما، وكان لقانون الفرنسي يعاقب بالإعدام على مائتين وخمس عشرة جريمة معظمها جرائم بسيطة.

وكما كان الإنسان الحي أهلاً للمسئولية والعقاب فكذلك كان الأموات، بل كذلك كان الحيوان والجماد، فكان القانون يجيز محاكمة الإنسان حياً ويجيز محاكمته ميتاً، ويجيز محاكمة الحيوان والجماد، ويجيز توقيع العقوبة على الإنسان الحي الذي يحس ويتألم ويفكر ويعقل، كما يجيز توقيع على جثث الأموات الذين فقدوا الإحساس بالألم وخرجوا من دنيا التفكير والتعقل، بل كان يجيز توقيع العقوبة على الحيوان الأبكم الذي لا يستطيع التفكير في جريمته والدفاع عن نفسه، ويجيز توقيعها على الجماد الذي لا يحس بالجريمة ولا يشعر بالمحاكمة ولا يتألم من العقوبة.

عقوبة الإعدام في أوروبا

وعقوبة الإعدام ملغية حاليا من دساتير الدول الأوربية في كافة الأحوال سواء جنائية أو سياسية أو دينية، حيث أنه تم تنفيذ أخر حكم إعدام في بريطانيا على سبيل المثال في 13 غشت عام 1964، في حين أن عقوبة الإعدام بقيت قانونيا سارية المفعول في حالة الخيانة العظمى حتى عام 1998 في بريطانيا إلا أن آخر تنفيذ عملي لها كان 1947. ويعتبر إلغاء بند الإعدام من الشروط الأساسية للانضمام للاتحاد الأوربي.

عقوبة الإعدام في الإسلام

عقوبة الإعدام موجودة في الشريعة الإسلامية في حال ثبوت جريمة القتل ضد شخص ما كما أنها تحدث في شروط معينة و صارمة عند ثبوت حالات معينة من الزنا أو اللواط أو الردة.

كيفية تنفيذ العقوبة

يتم تنفيذ عقوبة الإعدام عموما بطرق عدة منها:

الشنق: كما يجري في بعض الدول العربية مثل مصر والعراق والكويت وسوريا.

الحرق: كما في محاولة حرق سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، و كما كان يتم حرق النساء المتهمات بأنهن ساحرات في العصور الوسطى في أوروبا.

الصلب: كما في صلب من شبه لليهود بنبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام.

الرجم: وهي إحدى طرق الإعدام في الإسلام، كما أنها استعملت قبل ظهور الدين الإسلامي في بعض المجتمعات.

التسميم: (شرب السم) كما كان يجري في اليونان القديمة.

الرمي بالرصاص: كما يتم لإعدام العسكريين.

الكرسي الكهربائي: كما يجري في الولايات المتحدة الأمريكية.

غرفة الغاز: كما يجري في الولايات المتحدة الأمريكية.

الحقنة السامة: كما يجري في الولايات المتحدة الأمريكية.

القصاص بالسيف: كما في الشريعة الإسلامية ويتم تنفيذها بالمملكة العربية السعودية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن عقوبة القطع بالنسبة للسرقة مثلا طبقت في بريطانيا حيناً ما، وكانت العقوبات الجنائية فيها في غاية القسوة وفاقت الجرائم التي يعاقب عليها بالإعدام المائة ولم يكن يستثني حتى الأطفال منها، وفي القرن السادس قبل الميلاد كانت بعض الولايات اليونانية تعاقب بالموت من يسرق تفاحة... وفي الدول الاشتراكية كان القتل هو عقوبة السرقة، وقد روت صحيفة أخبار اليوم (عدد 3 شوال 1415 هـ4 - مارس 1995م) تحت عنوان "المؤبد عقوبة سرقة البيتزا في أمريكا" وجاء فيه (ص 10) :"لوس أنجلوس - وكالات الأنباء : صدر حكم بالأشغال الشاقة المؤبدة لمدة 25 عاماً ضد الأمريكي "جيري ويليامز" بتهمة سرقة قطعة "بيتزا" من بعض الأطفال وهي نفس العقوبة التي يحددها القانون لجريمة الاغتصاب، وقد رفضت المحكمة اعتراض محامي المتهم على العقوبة باعتبارها لا تتناسب مع الجرم الذي ارتكبه "ويليامز" وقالت إن المتهم من أصحاب السوابق وسبق إدانته في أربعة جرائم سرقة من قبل.

وكان المتهم قد قبض عليه بعد أن اختطف قطعة من فطيرة "البيتزا" من أربعة أطفال تتراوح أعمارهم بين 7 و15 سنة، وقال ممثل الإدعاء إن ما ارتكبه المتهم هو جريمة سرقة بالإكراه، ووفقاً لقانون كاليفورنيا فإن تكرار ارتكاب جريمة السرقة - بصرف النظر عن حجمها - يجعل من حق النيابة اعتبارها جنائية".

والإشارة التي جاءت في هذا النبأ عن أن المتهم سبق إدانته في أربع جرائم سرقة من قبل تبرز لنا إحدى الحقائق الهامة وهي أن الغالبية العظمى من المجرمين هم من الذين سبق لهم اقتراف جرائم وحكم عليهم بالسجن وأن بعضهم مسجل "كشقي خطر" وأن جريمة السجن لا يمكن أن تكون عقوبة رادعة، بل إن السجن نفسه هو في معظم الحالات مدرسة الإجرام، فإذا لم يكن السجن هو العقوبة الرادعة - فليس إلا القطع أو الجلد التي قررها الإسلام، ولعلها أن تكون عند احتساب الأبعاد العديدة للموضوع- أرحم من السجن للمتهم نفسه وللمجتمع أيضاً.

إخوان المقيم العام "دولاتور" واستمرار التدخلات الغربية في المغرب من خلال المنظمات الحقوقية

بقلم: إبراهيم الطالب

يضطر الإنسان أمام ما يعيشه اليوم إلى أن يتساءل عن جدوى أنهار الدماء التي سالت من عروق أجدادنا وآبائنا منذ 30 شتنبر 1912 تاريخ فرض معاهدة الحماية الفرنسية، وعن أشلائهم التي نثروها في وجه المستعمر المستكبر الذي كان يروم مسخ هوية البلاد والعباد.

فهل مثل هذا التساؤل مشروع؟

تبقى كل التساؤلات من هذا القبيل مشروعة بل واجبة أمام موجات التغريب المتتالية التي تستهدف المغرب على كافة الأصعدة، فإذا كان آباؤنا وأجدادنا إنما قاتلوا المستعمر من أجل دينهم وهويتهم وثقافتهم الإسلامية فقاوموا كل مظاهر التغريب خصوصا ما تعلق بالتعليم والثقافة والقضاء، واليوم نرى من حملوا نهجهم واتبعوا سبيلهم يُقصَوْن من كل مشاركة في الحياة العامة، بل يُشهَّر بهم في المجلات وعلى الشاشات والإذاعات وينعتون بالرجعية والظلامية وتشجيع الإرهاب، بينما تعطى الأسبقية لأشباه أولائك الذين وقفوا بالأمس إلى جانب المحتل الغاشم يسهلون مهامه في تخريب عقائد المواطنين ويُمدّونه بالمشورة حتى يحكم قبضته على مقاليد الأمور.

وهؤلاء هم إخوان الجنرال "دولاتور" المقيم العام في المغرب الذين تحدث عنهم بنفسه، وهو يجر أذيال الهزيمة مغادرا لبلادنا سنة 1955م حيث قال:

"لقد شاهدت وأنا على أهبة مغادرة بلاد المغرب منظرا كان من الصعب علي أن أتمالك معه دموعي..إنها كتلة من البشر تتراوح ما بين الألفين والثلاث من الخلائق مغاربة وفرنسيين..كانوا ينتظرونني في المطار من أجل وداعي، .. ازدحموا عليَّ يسلمون ويعصرون يدي في حرارة.. وفيهم من كان يعانقني معبرا لي عن أسفه لرؤيتي وأنا أنصرف في هذه الظروف..

لقد بلغ مني التأثر مبلغه حقا، وكان من العسير علي أن أصمد أمام دلائل العطف هذه التي عبر لي عنها إخواني المواطنون الفرنسيون ولكن كم كان تأثري عظيما أيضا من تلك العواطف التي لمستها في إخواني المغاربة، وذلك لأنني كنت أعرف ماذا ينتظر هؤلاء الذين يهشون في وجهي اليوم! ..إن هناك نكبات وويلات تنتظرهم في الأيام القابلة.." (حقائق عن الشمال الإفريقي لـ"دولاتور"، نقلا عن كتاب الحماية الفرنسية لعبد الهادي التازي).

ونقول للجنرال لا تخف على إخوانك هؤلاء ولا عن أبنائهم، مادُمتم قد خرجتم بلباسكم العسكري ومؤسساتكم الحربية، ورجعتم في لباسكم المدني ومؤسساتكم الحقوقية ومنظماتكم غير الحكومية، فأنتم حماتهم بالبنادق بالأمس، واليوم بالعقوبات الاقتصادية والتقارير السنوية والمنح والقروض الموجهة، وغدا مرة ثانية بالقواعد العسكرية وحاملات الطائرات.

إخوان المقيم العام "دولاتور" والتدخلات الغربية في المغرب

إن التماهي واضح بين مطالب رجال فرنسا بالأمس وأبنائهم اليوم، فإخوان المقيم العام ساندوا قوانين "فرنسا" ومشروع الملك البديل "ابن عرفة" وأبناؤهم من العلمانيين اليوم ينادون بـ"ملك يسود ولا يحكم"، وبإسلام مُفرغ لا يحرك المسلمين ولا يظهر على سلوكياتهم، وبحذف عبارة "الإسلام دين الدولة" من الدستور إذ يعتبرونها عبارة غبية كما نشرت ذلك إحدى الصحف العلمانية ببلادنا.

أولائك ساندوا الظهير البربري سنة 1930 بمحاكمه العرفية وحربه على إسلام البربر الأمازيغ، وهؤلاء العلمانيون يطلبون من العرب المسلمين الخروج من المغرب ويرونهم مستعمرين، ويعتبرون الإسلام دخيلا عدوا لهم، لابد يوما أن يطرد كما طرد الرومان .

والعجب والله كل العجب من هؤلاء الذين لا يريدوننا أن نربط الماضي بالحاضر والأمس باليوم، حتى لا نكتشف أن الدعوة إلى تبني كل ما تفرضه المنظمات الدولية من قيم غربية من خلال مطالب العلمانيين المغاربة، إنما هو من قبيل إتمام ما بدأه المستعمر الأوربي في المغرب المسلم.

إذ يظهر جليا أن الرجل الأوربي مستعمر الأمس، ما زال يضغط اليوم بقوة حتى تنتفي كل مظاهر الحكم الإسلامي من القوانين الوضعية في المغرب، بل حتى ينتفي الإسلام من سلوكيات الأفراد، فكانت معركة المدونة إحدى المعارك التي خاضها إخوان "دولاتور" وأبنائهم ضد أعداء "دولاتور" وأنجالهم، وللأسف الشديد كان هو الفائز فيها تحت ضغط الإرهاب الذي أخرس كل الأفواه وغَصَّ كل الحناجر التي خرجت في المسيرات تنديدا بالتعديلات، واليوم يضغط "دولاتور" في شخص منظمات قومه ومعه إخوانه وأبناؤهم وبقوة على المغرب من أجل إتمام عملية المصادقة على المحكمة الجنائية الدولية في أسرع وقت ممكن، هذا في مجال القضاء.

> **إن التماهي واضح بين مطالب رجال فرنسا بالأمس وأبنائهم اليوم، فإخوان المقيم العام ساندوا قوانين "فرنسا" ومشروع الملك البديل "ابن عرفة" وأبناؤهم من العلمانيين اليوم ينادون بـ"ملك يسود ولا يحكم"، وبإسلام مفرغ لا يحرك المسلمين ولا يظهر على سلوكياتهم، وبحذف عبارة "الإسلام دين الدولة" من الدستور إذ يعتبرونها عبارة غبية كما نشرت ذلك إحدى الصحف العلمانية ببلادنا.**

وفي مجال التعليم بدل أن يمارس العلماء أو وزارة الأوقاف الرقابة على ما يدرس ويلقن للتلاميذ أحفاد المقاومين نجد من يقوم بهذه الوظيفة منظمات غير حكومية تضيق في تقاريرها على كل ما يمت للإسلام بصلة.

إخوان المقيم العام "دولاتور" وإلغاء حكم الإعدام بالمغرب

وفي هذه الأيام وتحت ستار الرحمة والرأفة وحقوق الإنسان واحترام الحياة تضغط علينا منظمات "دولاتور" من أجل إلغاء عقوبة الإعدام، ومرة أخرى بمساندة إخوان المقيم العام بل كل العلمانيين: بمؤسساتهم وأحزابهم ومعهم بعض الذين فتنوا بالثقافة الغربية.

فهل مسؤولونا وعلماؤنا يرون المسألة من زاوية المستقبل البعيد وما يمكن أن تحمله المتغيرات الدولية خصوصا وأن أحوال العالم لا تنبئ إلا بالمزيد من الدمار و الحروب، والتي لا يذهب ضحيتها سوى المسلمون في الشرق والغرب؟

أم ينظرون إلى الأمر من زاوية الأزمة التي يحدثها الضغط: الداخلي (انهيار الاقتصاد، الأزمة السياسية، الفساد الإداري..) والخارجي(الحاجة إلى الاستثمارات الأجنبية، القروض من المؤسسات الدولية، ضغوط المنظمات الحقوقية..)؟

ونظرا لكون الزاوية الثانية هي التي مافتئت تهيمن على نظر مسؤولينا، أجدني مضطرا إلى أن أهمس في آذانهم مذكرا بكلمات المقيم العام نفسه الجنرال "دولاتور" وهو ينصح قومه ومسؤوليه عندما أيقن أن المغرب قد خرج عن السيطرة العسكرية لـ"فرنسا" سنة 1955م، حيث قال:

"نعم.. إذا كنا ننوي أن نسترسل في طريق النزول إلى الحضيض، حضيض التنازل عمَّا لنا من حقوق فإن البلاد سترجع القهقرى في أقرب ما يكون... وسيكون من الخطأ المبين متى ثقنا بمنطق المعاهدات وأحلاف التعاون مع هؤلاء الناس-يعني المغاربة-.. يجب ألا يكون إيماننا بمثل هذه المعاهدات اليوم أكثر من الإيمان الذي كان لنا بالمعاهدات وأحلاف "التعاون" المبرمة مع ألمانيا الهتليرية..! وإن الحوادث تؤكد ما نقول.." (المرجع نفسه).

إن الواجب على المسؤولين والعلماء أن ينظروا من نفس الزاوية التي نظر منها "دولاتور" إلى المعاهدات التي نجبر على توقيعها، حتى يمكنهم فهم مآل كل تنازل أو إجراء يمس بهوية المغاربة، فلربما كان الثمن في المستقبل أضعاف أضعاف ما قد نتوهم جنيه من مصالح إذا نحن أذعنا وتساهلنا.

فإذا نظرنا مثلا إلى مسألة إلغاء عقوبة الإعدام من زاوية "دولاتور" فإن الأمر -مادامت هذه العقوبة لا تطبق إلا نادرا- لا يعدو القصد من ورائه إلا دق آخر مسمار في نعش الشريعة الإسلامية التي حكمت المغرب طيلة قرون طويلة والتي عانى المستعمر بسببها الويلات لما كانت هي المحرك للناس والمؤطر لسلوكهم.

فإذا أُلغيت عقوبة الإعدام من القانون كما أُلغيت عقوبتَي قطع يد السارق وجلد ظهر الزاني وغيرهما، كمُل استبشاع الناس للحدود الشرعية، وأصبحت كما يقول العلمانيون عنها عقوبات وحشية في نظر من قلَّ علمهم وضعف إيمانهم، وبذلك تسد الباب أمام كل مُطالب بسن قوانين تتطابق مع الشريعة الإسلامية، وإن لم تغلق تضاعفت صعوبة المطالبة بها.

وحتى لا يتهمنا البعض أننا نُهوِّل الأمور أدعو القارئ الكريم إلى التفكر في هذا السؤال:

لماذا صرح الاتحاد الأوربي -مؤخرا- متهما تركيا بأنها تحاول الرجوع إلى الخلافة العثمانية لمجرد أنها حاولت سن قانون يعاقب على الخيانة الزوجية بالحبس ثلاث سنوات؟

وبينما القارئ الكريم يتفكر، أذكِّر مرة ثانية مسؤولينا وعلماءنا بنصيحة أخرى لـ"دولاتور" وجَّهَهَا وهو ممتلئ أسى، منذرا قومه كارثة تحل بدارهم قبيل رجوع الملك الراحل محمد الخامس رحمه الله تعالى، حيث قال:

"يجب علينا في هذه الظروف الحرجة أن نصمد أمام العواصف وإنه لا ينبغي أن نأخذ -دون ترو- بما من شأنه أن يوقعنا في الخطأ مرة أخرى..

إن الأمر يتعلق اليوم بتجنب الكارثة، ويجب لأجل ذلك أن نحصل من محمد الخامس على الأمور الثلاثة التالية:

أولا: أن لا تلمس معاهدة الحماية بزيادة أو نقص.

ثانيا: أن نحصل على ضمانة تؤكد أنه لا يؤاخذ أي شخص من أصدقائنا بنوع ما من المؤاخذة.

ثالثا: يجب على ابن يوسف أن يوجه نداء يندد بالإرهاب ويدعو الناس فيه إلى الهدوء والنظام". (المرجع نفسه)

فما هي الزيادة أو النقص يا ترى الذي كان يخشى منه الجنرال على بلاده؟

وما هي صفات وقناعات أصدقائه الذين يخاف عليهم من المؤاخذة؟

وما طبيعة الإرهاب الذي طلب من العاهل أن يندد به وما مفهومه عند "دولاتور".

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

استتباب الأمن وتحقيق العدل رهين بفرض نظام عادل للعقوبات

قال الحق جل في علاه: "الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ" لقد قرن الله سبحانه الإيمان وتحقيقه -والذي هو لب الأمر وأسه- بزوال الشرك، وعبر عنه هنا بالظلم، ليكون كلاً من الإيمان والتوحيد أساساً وشرطاً لحصول الأمن مما يوحي وببداهة بسيطة أن الأمن أمر مهم جداً ولا يمكن أن تحيا الشعوب وتزدهر وتتطور بدونه، وعلى قدر أهميته وضرورته للناس كانت له شروط لتحقيقه وحصوله، ومن هنا نجد أن الأمن جزء من الإيمان والتوحيد واللذان يقومان على الاعتقاد والعمل، ولذا فإن الحكمة الأعم في أمر العقوبات في النظام الشرعي أنها تهدف إلى إشاعة الأمن في المجتمع المسلم، وحماية أعضائه من عدوان المعتدين، سواء في أمر النزوات والغرائز أم في أمر الأموال والدماء.

ففي حالة خطايا النفوس ونزواتها التي لا يملك الإنسان عامة أن يأمن الوقوع فيها وفي كل الأحوال وطيلة حياته، نجد أن عقوبة هذا النوع من الخطايا والجنايات ليست مقصودة للفعل في ذاته، ولكنها للمجاهرة به والإصرار عليه ولما يترتب على ذلك من فساد للفرد والمجتمع.

كما أن الوقوع في النزوات وإرضائها لا يتطلب إشهارها والمجاهرة بها، فمن أشهر ليس له مخرج من العقاب، وذلك حفظاً لأمن الناس ورعاية لحقوقهم الدينية والخلقية، وبذلك فإن الفرد لابد أن يشعر بالأمن والطمأنينة لا الخوف والرهبة حين يعلم أن الحكمة من العقوبة التي تتعلق بالجرائم الناجمة عن النزوات هي منع أهل الفساد من إقحام فسادهم في حياة الناس وأهليهم، والتغرير بصغارهم دون إرادة أو رغبة منهم، فإنزال العقوبة بالمفسد المستهتر تبعث الطمأنينة والإحساس بالأمن في نفوس أفراد المجتمع، وقسوة العقوبة إلى جانب أنها حماية حاسمة وصارمة لحقوق الإنسان الأساسية في الخيار، فإنها تدل أيضاً على فداحة الفاحشة وما يترتب عليها من آثار اجتماعية خطيرة في مجال الأسرة والمجتمع.

الحرية والعقوبة

إن من أهم مزايا أحكام الشريعة الإسلامية ونظام المجتمع الإسلامي، معرفة معنى الحرية الإنسانية وإدراك حدودها، وذلك على غير حال المجتمع العلماني المادي الذي

> **يبدو أن المجتمع العلماني المادي قد فقد الدليل لمعرفة معنى الحرية الإنسانية ومغزى ضوابط النظام الاجتماعي الإنساني، وهذا الجهل والتخبط في هذا الأمر الأساسي يؤدي بالضرورة إلى الفوضى في العلاقات الإنسانية ويؤدي إلى انهيار النظام الاجتماعي الإنساني برمته**

يبدو أنه قد فقد الدليل لمعرفة معنى الحرية الإنسانية ومغزى ضوابط النظام الاجتماعي الإنساني، وهذا الجهل والتخبط في هذا الأمر الأساسي يؤدي بالضرورة إلى الفوضى في العلاقات الإنسانية، ويؤدي إلى انهيار النظام الاجتماعي الإنساني برمته، فكل نظام في الوجود له حدود وقواعد، وليس النظام الاجتماعي الإنساني في ذلك بدعاً، ولذلك يجب مراعاة أسس النظام الإنساني وقواعده وحدوده والوقوف عندها، وعدم القدرة على معرفة قواعد النظام الاجتماعي وحدود أدائه يعني انجراف ذلك النظام حتماً إلى التدهور والانهيار.

أما الجرائم المتعلقة بالأموال والدماء فإننا نجد أن العقوبة فيها على العكس من عقوبة جرائم الغرائز والنزوات، مقصودة للفعل في ذاته وليس للإشهار، فالإنسان السوي من عامة الناس لا يضمر في نفسه قصد قتل الأبرياء أو سرقة أموالهم وممتلكاتهم، ولكن الإنسان السوي من عامة الناس لابد أن يخطر بباله إمكان تعرضه خلال حياته للعدوان على حياته أو ماله، ولذلك فإن هذا الإنسان يجد في عقوبة العدوان على الأموال والدماء وتوجهها إلى واقعة الفعل في ذاته حمايةً له وحفظاً لأمنه.

وإذا كان المقصود من عقوبة العدوان على النفوس والأموال توفيرَ الحماية للأبرياء، فإن هذا لا يعني أيضاً قصد العقاب لذاته، فالعقاب ليس غاية في حد ذاته في كل الأحوال، ولكن القصد هو تحقيق الأمن، وما يتحقق به الأمن في حده الأدنى هو الحد المطلوب من العقوبة، ولذلك فإن الشريعة أعطت أولياء الدماء الحق في العفو وشجعت عليه، لأن العفو إنما يصار إليه عند القدرة، والإحساس بالأمن.

إذا أدركنا طبيعة نظام العقوبات على الوجه الذي سلف، وتكامَل فهمنا للطبائع مع فهم هداية الوحي، فإن نظام العقوبات الإسلامي يصبح كما أسلفنا مصدراً للإحساس بالأمن والطمأنينة، على عكس ما يسببه العرض الناقص لهذا النظام، ذلك العرض الذي يروج لصورته المرعبة والمشوهة بعضُ الناس عن جهل، وبعضُ أصحاب الأغراض عن حقد، مما يؤدي إلى إشاعة الخوف والرهبة وانعدام الإحساس بالأمن بشكل واع أو غير واع في نفوس عامة الناس، فيقضي على مشاعر الكرامة والمبادرة والإبداع الخير في نفوسهم.

عقوبة الإعدام في القانون الجنائي المغربي

بالرجوع إلى القانون الوضعي الجنائي المغربي نجد أنه ينص على عقوبة الإعدام في جرائم عديدة يمكن تصنيفها إلى:

أولا: جرائم ترتبط بالاعتداء على حياة الأسرة المالكة

فالاعتداء على حياة الملك أو شخصه يعاقب عليه بالإعدام (ف 163) والاعتداء على حياة ولي العهد يعاقب عليه بالإعدام (ف 165) والاعتداء على حياة أحد أعضاء الأسرة المالكة يعاقب عليه بالإعدام (ف167).

ثانيا: جرائم ترتبط بأمن الدولة وسلامتها (الخيانة- التجسس...)

فالفصل 181 ينص على: "يؤاخذ بجناية الخيانة، ويعاقب بالإعدام، كل مغربي ارتكب، في وقت السلم أو في وقت الحرب، أحد الأفعال الآتية:

1 - حمل السلاح ضد المغرب.

2 - باشر اتصالات مع سلطة أجنبية بقصد حملها على القيام بعدوان ضد المغرب أو زودها بالوسائل اللازمة لذلك، إما بتسهيل دخول القوات الأجنبية إلى المغرب، وإما بزعزعة إخلاص القوات البرية أو البحرية أو الجوية وإما بأية وسيلة أخرى.

3 - سلم إلى سلطة أجنبية أو إلى عملائها إما قوات مغربية وإما أراضي أو مدنا أو حصونا أو منشآت أو مراكز أو مخازن أو مستودعات حربية أو عتادا أو ذخائر أو سُفنا حربية أو منشآت أو آلات للملاحة الجوية، مملوكة للدولة المغربية.

4 - سلم إلى سلطة أجنبية أو إلى عملائها، بأي شكل كان وبأية وسيلة كانت، سرا من أسرار الدفاع الوطني أو تمكن بأية وسيلة كانت، من الحصول على سر من هذا النوع، بقصد تسليمه إلى سلطة أجنبية أو إلى عملائها.

5 - أتلف أو أفسد عمدا سفنا أو آلات للملاحة الجوية أو أدوات أو مؤنا أو بنايات أو تجهيزات قابلة لأن تستعمل للدفاع الوطني، أو أحدث عمدا في هذه الأشياء تغييرا من شأنه أن يمنعها من العمل أو يسبب حادثة، سواء كان ذلك التغيير قبل تمام صنعها أو بعده".

والفقرة 1 من الفصل 201 تنص على: "يؤاخذ بجناية المس بسلامة الدولة الداخلية، ويعاقب بالإعدام من ارتكب اعتداء الغرض منه إما إثارة حرب أهلية بتسليح فريق من السكان أو دفعهم إلى التسلح ضد فريق آخر وإما بإحداث التخريب والتقتيل والنهب في دوار أو منطقة أو أكثر".

ثالثا: جرائم يرتكبها الموظفون ضد النظام العام

حيث ينص الفصل 235 على: "في الحالة التي تكون فيها الإجراءات المتفق عليها بين سلطات مدنية وهيئات عسكرية أو رؤسائها قد قصد منها أو نتج عنها مساس بالأمن الداخلي للدولة، فإن المحرضين يعاقبون بالإعدام، أما غيرهم من الجناة فيعاقبون بالسجن المؤبد".

رابعا: جرائم مرتبطة بالإرهاب

حيث نص الفصل 3-218 على: "يعتبر أيضا فعلا إرهابيا، بالمفهوم الوارد في الفقرة الأولى من الفصل 1-218 أعلاه، إدخال أو وضع مادة تعرض صحة الإنسان أو الحيوان أو المجال البيئي للخطر، في الهواء أو في الأرض أو الماء، بما في ذلك المياه الإقليمية.

- يعاقب عن الأفعال المنصوص عليها في الفقرة الأولى أعلاه بالسجن من 10 إلى 20 سنة.

- تكون العقوبة هي السجن المؤبد إذا ترتب عن الفعل فقدُ عضو أو بتره أو الحرمان من منفعته أو عمى أو عور أو أي عاهة دائمة أخرى لشخص أو أكثر.

- تكون العقوبة هي الإعدام إذا ترتب عن الفعل موت شخص أو أكثر".

خامسا: جرائم مرتبطة بالقتل العمد والتسميم والعنف

فقد نص القانون على أن القتل العمد حكمه الإعدام في الحالات التالية:

- إذا سبقته أو صحبته أو أعقبته جناية أخرى أو تم ارتكابه لإعداد أو تسهيل أو إتمام تنفيذ جناية أخرى، أو تم ارتكابه لتسهيل فرار مرتكبي الجريمة أو مشاركيهم أو لتخليصهم من العقاب (ف 392).

- إذا كان مع سبق الإصرار أو الترصد (ف393).

- إذا استهدف القتل أحد الأصول (ف 396).

- إذا تم استعمال التعذيب أو تم ارتكاب عمل وحشي لتنفيذ فعل يعد جناية (ف399).

- في حالة جريمة التسميم (ف398).

وهناك جرائم أخرى لم نذكرها لضيق المقام.

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

ما السر الكامن وراء إصرار الجمعيات الحقوقية على إلغاء عقوبة الإعدام؟

الجمعيات الحقوقية ومناهضة عقوبة الإعدام

"حقوق الإنسان".. شعار جميل.. بسيط.. يغري بالأمل، ويبعث على الاحترام. ولكن هذا الشعار: من يرفعه..؟! وفي أي اتجاه يدفعه؟! من يحدد مقومات هذا الشعار، ويرسي منطلقاته أو يضع ضوابطه؟

أسئلة تترادف كلما شن دعاة "حقوق الإنسان" حملاتهم على بعض بلدان المسلمين مستهدفين نظماً وأحكاماً قبل الأنظمة والحكومات، فقطع يد السارق في نظرهم "وحشية"، وقتل القاتل المتعمد: "همجية"، وعقوبة المرتد: "ردة حضارية"، ومنع الخمور وحظر السفور واتخاذ التدابير ضد الانحراف والشذوذ والفجور.. كل ذلك "اعتداء سافر" على الحريات الشخصية!

أما مساءلة "المبدعين" إذا تطاولوا على المقدسات الدينية، أو حتى على الذات الإلهية، فتدخُّل مرفوض في حرية التعبير والتفكير!

وإذا ما تعدى الأمر إلى إلزام الأقليات الدينية بشيء من النظم المستهدفة للصالح العام وجمهور الأغلبية، فحري أن ترفع الشكاوى بشأنه إلى المحافل الدولية، وتدبج بشأنه القرارات وتبدأ التنديدات ثم التهديدات ثم العقوبات، وليت مساعي دعاة حقوق الإنسان تقتصر على المطالبة بإنصاف المظلومين، ورفع المعاناة عن المسحوقين، وإرساء قيم العدالة والنزاهة بين الحكام والمحكومين، إذن لوقفنا جميعاً مع أصحاب تلك الحملات في حملاتهم، ولبارك الجميع جهودهم.

من يرفع شعار حقوق الإنسان؟

إننا نعلم والناس يعلمون أن الذين يرفعون شعارات "حقوق الإنسان" اليوم، كانوا ولا يزالون أكثر بني الإنسان قهراً للإنسان من غير بني جنسهم طوال القرنين المنصرمين، طف بناظريك على أرجاء الخارطة الإنسانية، ماذا ترى؟!

إن من يرفعون شعارات "حقوق الإنسان" اليوم، كانوا ولا يزالون أكثر بني الإنسان قهراً للإنسان من غير بني جنسهم طوال القرنين المنصرمين، طف بناظريك على أرجاء الخارطة الإنسانية، ماذا ترى؟!

ترى عالمين: عالماً يضمن لشعوبه قمة العلو والنمو والرفاهية والترف، وعالماً يُضَنُّ عليه بلقمة العيش الكريم، وأدنى مظاهر الحرية والاستقلالية والشرف.

عالم يكاد يملك مقدرات كل شيء.. وعالم لا يكاد يملك أي شيء! حتى ثرواته لا يملكها.. وأوطانه لا يستطيع حمايتها، سماؤه مستباحة وأرضه غير مستقرة، مستقبله قلق، وحاضره غير مأمون، يهيمن عالم "النخبة" الذي لا يزيد عن عُشْر سكان الأرض على ما لا يقل عن ثلاثة أرباع ثروات الأرض!

شيء يبعث على السخرية، ويدعو للتهكم أن تنبري هذه الأقلية المتسلطة من خلال منظماتها ومحافلها إلى التحدث عن "حقوق الإنسان"!

عن أي حقوق يتحدثون؟!

ليتهم يتحدثون عن حق الإنسان في أن يزدهر.. في أن يستقل.. في أن ينتصر على تحديات عصره أو يتجاوز عقبات التخلف المضروب عليه، ولكن منظمات "حقوق الإنسان" تعرف أن واقع التخلف الذي يلف أكثر شعوب العالم النامي أو النائم أو المنوم، إنما هي في جزء كبير منها نتاج ابتزاز اقتصادي، وحصار تكنولوجي وإفساد اجتماعي تطيل أمده سياسية تفرض على الشعوب أن تدار شؤونها عن بُعد بواسطة الاستعمار الفكري، ولهذا فإن غاية ما يطنطن به دعاة حقوق الإنسان وقصارى ما يدندنون حوله من حقوق هذا الإنسان وبخاصة إذا كان من بلاد المسلمين هو حقه في أن يكون شاذاً أو مثلياً.. أو ملحداً أو وجودياً أو عدمياً!!

حق إناثه في أن يتساوين بالرجال في كل شيء..!وحق رجاله في التنازل عن الرجولة بل عن الذكورة في بعض الأحوال.. ولا بأس أن تزركش المطالبة بتلك الحقوق، ببعض المطالب الجادة التي تقتصر في الغالب على من ينتقون وبالطريقة التي يريدون، كأن يطالبوا بنزاهة المحاكمة.. وكفالة حق الدفاع.. أو تجنب التعذيب، والسماح بزيارة المساجين.. أو نظافة غرف السجن!

ماذا يريدون؟

غاية ما يريده الغربيون الرابضون خلف أسوار الدفاع عن حقوق الإنسان أن يقولوا لنا: ليكن الإنسان عندكم كالإنسان عندنا.. لتكن الشرائع عندكم كالشرائع عندنا... لتكن الأخلاق عندكم كالأخلاق عندنا، لتكن مجتمعاتكم مثل مجتمعاتنا في كل شيء إلا.. في الأشياء المحترمة!

فما حال إنسانهم الغربي حتى نعتبره نموذجاً محتذىً لإنساننا المغربي أو الشرقي: الإسلامي والعربي؟!

ما السر الكامن وراء إصرار الجمعيات الحقوقية على إلغاء عقوبة الإعدام؟

يظن البعض أن الإلحاح على إلغاء عقوبة الإعدام للقتلة وغيرهم في الغرب إنما يجيء بسبب الرقة، أو المشاعر الإنسانية المرهفة التي تنظر إلى عقوبة الإعدام على أنها عمل شرير وغير حضاري، ولكن الحقيقة تبدو أبعد من ذلك، إذ يمكننا أن نتصور السبب في فزع الغربيين من تطبيق عقوبة الإعدام، إذا علمنا المعدل الضخم لقضايا القتل في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، والتي يفترض أن تطبق على المدانين فيها تلك العقوبة، فهو عدد يحتاج إلى مقتلة سنوية تراق فيها دماء الآلاف، لأن جرائم القتل الموسمية في أمريكا تبلغ سنوياً 25,000 جريمة (كتاب يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة، تأليف: "جيمس باترسون" و"بيتر كيم")، أي أن هناك خمسة وعشرين ألف قتيل كل عام، يُطلب للقتل بسببهم أمام العدالة خمسة وعشرون ألف قاتل!

يظن البعض أن الإلحاح على إلغاء عقوبة الإعدام للقتلة وغيرهم في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من دول الغرب إنما يجيء بسبب الرقة، أو المشاعر الإنسانية المرهفة التي تنظر إلى عقوبة الإعدام على أنها عمل شرير وغير حضاري، ولكن الحقيقة تبدو أبعد من ذلك..

هذا لو افترضنا أن القاتل شخص واحد في كل جريمة، فماذا لو تصورنا أن كل قتيل يمكن أن يشترك في قتله الواحد والاثنان والثلاثة والعشرة؟! وماذا لو تصورنا إضافة مستحقي القتل بجرائم أخرى غير القتل، كالتجسس والاغتصاب والخيانة العظمى ونحوها؟

ولا يجب أن يغتر الإنسان بكون بعض الولايات الأمريكية ما زالت تطبق عقوبة الإعدام، فهذا يرجع إلى طبيعة الحكم في هذه الدولة.

ولو أنصف العقلاء من الأوربيين والأمريكيين المتباكين على حقوق الإنسان الضائعة بسبب تطبيق الأحكام في بعض البلدان الإسلامية، لو أنصفوا لقارنوا فقط بين عدد قضايا القتل عندهم وعددها في البلدان الإسلامية التي تطبق حد الإسلام في قتل القاتل فبحسب تقرير منظمة العفو الدولية نفسها، فإن عدد من نفذ فيهم حكم الإعدام في قضايا القتل وغيرها في المملكة العربية السعودية لم يزد عن 29 شخصاً في الفترة من 1980م 1986م، فأين هذا من الآلاف المكدسة في سجون أمريكا وغيرها، من المتهمين في جرائم قتل فضلاً عن غيرها؟!

إن واحداً من كل ثلاثة أمريكيين اليوم يؤيدون تطبيق عقوبة الإعدام في القاتل ويرفضون أن يعاقب بالسجن فقط، ونحن لا نطلب منهم أن يقتدوا بحكم الإسلام الذي ينقدونه، ولكن نريد منهم فقط أن يكفوا عن الدعوة إلى تحويل مجتمعات المسلمين إلى مجتمعات فوضى دموية مثلٍ مجتمعاتهم التي لا يكتفي الناس فيها بقتل بعضهم بعضاً بشراهة دموية، بل يعمد المئات منهم سنوياً إلى قتل أنفسهم بالانتحار، (معدلات الانتحار بين الشباب الأمريكي أكثر من معدلات الانتحار في أوروبا بعشرين ضعفاً، وأكثر من معدلات الانتحار في اليابان بأربعين ضعفاً انظر: يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة ص:88)

ثم إن الهدف الخفي وراء دعم الجمعيات الحقوقية داخل المجتمعات المسلمة هو إغلاق الباب أمام تطبيق الحدود الشرعية والضغط على الدول المطبقة لها قصد إلغائها واستبدالها بالقوانين الوضعية.

الغرب وعولمة التيه

وبين فساد الشرق الإلحادي والغرب الانحلالي، يعيش العالم حقبة من الضياع تتضاعف آثاره بفعل ما طرأ من مستجدات تفرضها مضاعفات عصر (العولمة)!

إن ذلك الواقع (النموذجي) لحياة الإنسان في البلدان التي لا تدين لله بالطاعة إنما هي نتاج النظم التشريعية الخرقاء التي يصر المبدِّلون على أن يحاكموا إليها شريعة الرحمن، وأن يعدلوا ويغيروا فيها لتستقيم مع العوج المعهود في شرائع الإنسان..

وصدق الحليم العظيم إذ يقول: "يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً، يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً" (النساء).

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

تنظيم الجريمة وتقليص العقوبات

إعمال النظريات الفلسفية الملحدة أفرز تشجيع الجريمة

المجتمع الغربي حقق ما دعا إليه "ميكيافيلي" من الفصل ما بين السياسة والأخلاق

لا نزال نسمع بين الفينة والأخرى أن العقوبات في الإسلام لا تتناسب والعصر الحالي بل ولا حتى طريقة تطبيقها، ولذلك يغلب دائماً رغم كل ما قدمناه من إيضاح لاتفاق العقوبة الإسلامية مع العدل أن لا يتقبل الفكر الغربي هذا الإيضاح ويظل عازفاً عنه، والسبب في ذلك أن هناك فرقاً أصولياً في فهم الإسلام للعقوبة وفهم المجتمع الغربي لها يعود إلى الاختلاف في الجذور الحضارية.

فالجذور الحضارية للمجتمع الغربي تعود إلى اليونان، فالرومان، فالعصور الوسطى ثم عصر "التنوير" وما تلا ذلك حتى الحقبة المعاصرة، وجذورها وفلسفتها جميعاً من الإنسان وللإنسان. وليس للدين من دور حقيقي في الفكر الغربي لأن الغرب العلماني تشريعه الجديد هواه، وقد فعل بالمسيحية الأفاعيل ليطوعها طبقاً لمفاهيمه، ونظمه السياسية هي صورة مطورة لما عرضه أرسطو في "السياسة" ما بين ديمقراطية وأرستقراطية وصور من "الأوليجاركية" (وهي حكم الأقلية المتعصبة) بالإضافة إلى الديكتاتورية التي ابتدعها الرومان. ولذا فقد نتجت عنها هذه الأوضاع الحالية للمجتمع الغربي.

وأبرز هذه الأوضاع هو الوضع الديمقراطي الذي هو محل فخر أوروبا ورمز حضارتها، وهو وضع يفترض فيه أن تكون السيادة للشعب ولكن تجربة التاريخ تكرر في الحاضر ما حدث في "أثينا" و"روما" بصورة حديثة.

إن مأساة الحضارة الأوروبية هي أن الإنسان فيها ما أن يبدع شيئاً ليحرر نفسه حتى ينقلب هذا الشيء عليه لأنه يصبح في أيدي "المؤسسات" فعندما اخترع الآلة لتحرره من لعنة الكدح العضلي، تصور "روبرت أوين" أن أربع ساعات عمل ستصبح هي ساعات العمل المقررة، إذ سيمكن للآلات في هذه الساعات أن تغمر السوق بسلع ما كان يمكن للكدح العضلي أن ينجزها إلا بأسابيع عمل طوال.. وتوصل "دافي" إلى مصباحه ليؤمن الفحامين النزول إلى أعماق ينعدم فيها الأكسجين، وتوصل الإنسان إلى الطباعة وإلى الإذاعة وإلى التليفزيون ليثقف نفسه.. الخ.

إن كل هذه النعم استغلت ضد الإنسان، فالرأسمالية أرادت الملايين والبلايين وكان لابد أن تسخر الإنسان ليعمل ثمان أو عشر ساعات أمام الآلات، واستغل أصحاب المناجم مصباح "دافي" فأخذوا يزجون بالفحامين إلى أعماق سحيقة في أمن المصباح، لتنهار عليهم المناجم! أما الإذاعة والتليفزيون فقد أصبحت أقوى وسائل "المؤسسات" في الهيمنة على الفرد وتسييره حسبما تشاء، وأصبحت الكلمة الأخيرة في كافة المجالات للمؤسسات ولما تنتهي إليه المؤسسات من منطلق مصالحها.

لذلك كان لابد أن يحدث هذا ولو لم يحدث لكان اختلافاً كمياً وليس نوعياً لأنه إذا تُرِك الإنسان ونفسه دون هداية من الله فلابد أن يضل، فالغريزة أصلُ وأغلب من العقل، ووهج الشهوات والعواطف والأهواء أشد جاذبية من نور الحكمة، ولحكمة ما سخر الله تعالى الشيطان ليزينها للعباد "قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ".

وكانت النتيجة أن المجتمع الغربي في تمجيده للحرية والعمل والانطلاق وفتحه الباب للمبادآت الفردية تقبل ضمناً ومن باب الضرورة خلال هذه الممارسات ما يمكن أن يعد سرفاً أو شططاً أو يشارف مستوى الجريمة، إن الجريمة الحقيقة في نظر هذا المجتمع هي السلبية والخمول والفقر، أمّا ما يمكن أن يأتي به العمل والحرية كيفما كانت سلبياته على الفرد والأسرة والقيم، فتظل له فضيلة العمل والإقدام ويمكن أن "يمرره" المجتمع.

وكما أن آليات السوق جعلت من البطالة جزءاً لا يتجزأ من النظام الاقتصادي فإن هذه الآليات جعلت الجريمة أيضاً جزءاً لا يتجزأ من النظام الاجتماعي، وأصبح كلاً من المتعطل والمجرم "ضحية" للنظم يستحق العطف ومن هنا جاءت تلك الصيحة التي تنبعث تلقائياً من قاعة المحكمة عندما تعلن المحكمة تبرئة المتهم "يحيا العدل!" دون تحقيق لما إذا كان العدل هو في تبرئة هذا المتهم أو إدانته.

> ..والقيم الحضارية الغربية على ما هي عليه اليوم، فإننا نشهد كذلك ظهور الجريمة المنظمة والصور العديدة التي تأخذها "المافيا" والتعاون ما بين بعض العصابات وسياسيين أو أجهزة أو مؤسسات وأخيراً شيوع الفساد بين المسئولين الحكوميين.

العمل بالنظريات الفلسفية الملحدة وتشجيع للجريمة

عمَّق هذه النظرة وأضاف إليها بعداً جديداً عدم وجود المعيار الموضوعي لتقرير العدالة، فالمفاهيم التي تطرحها آليات المؤسسات كلها ذاتية، ويمكن تتبع هذا من "أثينا" ف"روما" فالحقبة المعاصرة، ففيها جميعاً كانت الفئات المميزة تتمتع بإعفاءات أو حصانات من المحاكمات أو العقوبات، وفيها جميعاً كانت الفئات الدنيا تُحمَّل بأثقال وتجازى بعقوبات أضعاف ما تجازى به الفئات المميزة.

وقد حقق المجتمع الغربي ما دعا إليه "ميكيافيلي" من الفصل ما بين السياسة والأخلاق، كما حقق الفصل ما بين الاقتصاد والأخلاق الذي دعا إليه "آدم سميث" و"ماركس" معاً، وتقبل مقولة "كلاوزفست" عن "أن الحرب هي مواصلة السياسة بوسائل أخرى"، ونتيجة لهذا أصبح الهامش ما بين الخير والشر متآكلاً متداخلاً، ووجدت العدالة الغربية نفسها عاجزة أمام هذا التداخل، تقف كأم لإبن شرير لا يستطيع أن توقع عليه العقوبة العادلة التي يستحقها لأنه -بعد كل شئ- ابنها ولم يكن مناص، والقيم الحضارية الغربية على ما هي عليه اليوم، فإننا نشهد كذلك ظهور الجريمة المنظمة والصور العديدة التي تأخذها "المافيا" والتعاون ما بين بعض العصابات وسياسيين أو أجهزة أو مؤسسات وأخيراً شيوع الفساد بين المسئولين الحكوميين.

الغرب وكابوس الجريمة

وآخر صيحة في هذه المسيرة هي "حقوق الإنسان" التي أضفت شرعية على صور من الانحراف لا يقتصر أثرها السيء على ما بين المقترفين لها، كما في العلاقات الجنسية الشاذة، ولكن أثرها يمتد إلى الآخرين فيما تحمله من عدوى تنقل الأمراض إلى الأبرياء الآخرين، أو حرية حمل السلاح وما تغري به من عدوان أو حرية إدمان المخدرات وما ينتهي إليه من استعباد المدمن، بل إن شيوع الانحراف في بعض المدن الأمريكية حرم على عامة الناس الخروج ليلاً أو السير في الشوارع وسمح بوقوع أسوأ الجنايات في المجتمع الأوروبي والاغتصاب علناً وجهرة دون استطاعة أحد التدخل.

إن حاضر المجتمع الغربي اليوم لهو أكبر شاهد على جريرة التسامح مع الجريمة وعدم وجود معايير موضوعية للعدالة تفرض على المجرم العقوبة التي تتكافأ مع جريمته، وتكون قاسية بقدر قسوة الجريمة، وهي قضية قد تذهب بكل منجزات الحضارة الغربية لأنها تدس لها السم في الدسم بعدم التفرقة بين الخير والشر، وتوهن من مقاومتها بحيث تستسلم تدريجياً لوازع الشر استسلامها لوازع الربح.

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

العقوبات والحدود.. لماذا؟
هل تعتبر الحدود الشرعية عقوبات وحشية؟

لم تكن الحدود والعقوبات في الإسلام للتشفي من مقترف الجريمة ولا للتنكيل به أو القضاء عليه، وإنما هي وسيلة لتصحيح الخطأ الذي اقترفه، وانتشاله من المستنقع الذي وقع فيه، ولأخذ الحق منه إن كانت الجريمة متعلقة بحقوق الآخرين، وأخيراً لردع الآخرين عن الوقوع بمثل ما وقع به ذلك المخطئ، وذلك تحقيقا للعدل والمساواة حتى يرتدع المنحرف ويأمن المستقيم.

ولهذا حرص الشارع الحكيم أن لا تقام العقوبة إلا بعد أن تستنفد كافة الوسائل التي من شأنها أن تحد الجاني عن جنايته دون أن يقع الضرر على المجني عليه ولا على الجاني جهد الإمكان، ولذا أمر القاضي أن يكون رؤوفاً بالمخطئين، فيخفف عنهم العقاب أو يمنعه لأي شبهة تمنع تطبيقه؛ بغية إعطائهم الفرصة للتوبة والإصلاح، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال صلى الله عليه وسلم: "ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلّوا سبيله فإن الإمام إن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة" صحح اسناده الحافظ في التلخيص (56 / 4) وكذا قال السخاوي.

وبالإضافة إلى أن الإسلام أمر القاضي بالرأفة بالخاطئين، فإنه دعا المسلمين إلى أن يستر بعضهم هفوات بعض، خصوصاً إذا كان الخاطئ متستّراً غير مجاهر بالخطأ، وأعطى صاحب الحقّ سلطة العفو ما لم يعلم بها ولي الأمر، وعندها لا يقبل منه العفو، لأن الحقّ تحوّل إلى حق عام، فوق كونه حقاً شخصياً لصاحبه.

إن العقوبة في الإسلام شُرعت انطلاقاً من هذه المبادئ، وتحقيقاً لهذه الأهداف، ولا يجوز النظر إليها إلا من خلال هذه المفاهيم.

العقوبات والعدالة

ثم ومن جانب آخر يجب علينا أن لا نغفل مسألة العدل التي أكد عليها الإسلام أيما تأكيد، بل وأعطاها الحصة الكبرى لمن تأمل نصوص الشرع، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" المائدة، ولهذا لم يهتم الشرع بأمر المشاعر وعواطف الجاني إذا ما تعارضت والعدل الذي به تقوم الحياة ولا ريب، قال تعالى: "الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ" النور، وقال تعالى: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" المائدة، ولهذا تصور بعض المستشرقين والمثقفين ثقافة أوروبية أن العقوبات الإسلامية التي تتسم بطابع من الصرامة كالجلد والقطع تتنافى -أو على الأقل- تتجافى عن العدل دون أن يخطر في بالهم أن معاقبة الجناة بهذه العقوبات إنما هو من تحقيق للعدل، فالعدل في الإسلام مقدم على مشاعر الآخرين، خاصة وإن كان الذي يراد النيل من مشاعره هو السبب في إشاعة الفوضى بارتكابه لجريمة من الجرائم، فبها يستحق أن ينال كل جزاء مناسب لينتهي هو وأمثاله عما ارتكبوه في حق الآخرين الأبرياء.

وقد يكون القصاص من أكبر أبواب العقوبات الإسلامية ومما ضل فيه كثير ممن ينصبون أنفسهم نقادا ومفكرين، ومع هذا فإنه مبني على صميم العدل ومحضه فعندما تثبت التهمة على الجاني، وتستبعد من ظروف الجناية ما قد يحمل على الرأفة فإن القصاص يكون هو العدل محضاً، فإذا كان في توقيعه قسوة، وتخفيف الحكم عن مستوى الجناية المقترفة يعد في حقيقة الحال ظلماً للمجني عليه، لأن العدل هو حجر الأساس في المجتمع الإسلامي، لذلك فإن أي تسامح فيه أو تجاوز هو مما يهدد المجتمع في الصميم، وتطبيق الحدود -عند الثبوت وبعد الضمانات- رمز للتمسك بالعدل وتطبيقه ومن هنا يمكن تفهم الأثر "حد يعمل في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحا" وفي رواية "أربعين ليلة"، (ابن ماجة، باب إقامة الحدود).

> **ولا جدال أن عقوبة القطع عقوبة شديدة غاية الشدة ولا أحد يسعد بها، لكن لمّا كانت جريمة السرقة هي أكثر الجرائم شيوعاً في المجتمع وأنها في حد ذاتها ذات طبيعة اجتماعية، فإن الأمن من الفساد بالنسبة للمجتمع أولى من بقاء يد الجاني، كما أن قطعها بسبب فساد صاحبها وإفساده، فيه رحمة بباقي أفراد المجتمع الصالحين وضمان لأرواحهم وممتلكاتهم.**

فبإقامة الحدود تعم البركات المجتمع بأسره، وهي رحمة بالمعتدي، ويتجلى ذلك في مغفرة الله ورحمته التي تحوطه بعد إقامة الحد عليه، فالحدود كفارات للآثام وجوابر لها، تغسل أثرها وتمحو ذنبها، وكونها جوابر لا ينفي أنها زواجر كذلك، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة ماعز: "لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم" (رواه الخمسة واللفظ للترمذي)، وفي قصة الغامدية: "لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم" (رواه الخمسة، انظر التاج)، فالحد أشبه بجرعة من الدواء الكريه يشربها الإنسان ليحصل بعد ذلك على الراحة.

العقوبة مظنة الردع

وهناك حكمة أخرى في القصاص وإقامة الحدود الشرعية هي أنه بالإضافة إلى العدل الفردي -أي ما بين الجاني والمجني عليه- فإن القصاص يحقق الردع وهو أحد الأهداف الاجتماعية للعقوبة، وهو وحده الذي يمكن أن يحسم شأفة كثير من الجرائم التي انتشرت اليوم في المجتمعات انتشار النار في الهشيم، فالقصاص وحده هو الذي يمكن أن يوقف تلك الجرائم، فإذا أردنا أن نقضي على أبشع الجرائم دون مجاوزة لحدود العدالة، فعلينا بالقصاص، ويجب عندئذ أن نستبعد كل الاعتراضات، بل يمكن أن نطبق القصاص في جرائم يحدد عقوبتها "التعزير" كما يقول الفقهاء، فلا شيء يوقف هذه الجريمة أو يتعادل معها إلا القصاص حتى وإن كان من الممكن إصدار أحكام بالنفي تطبيقاً للحديث «من غشنا فليس منا» الترمذي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 48/3، برقم:1058، وهو بدوره يمثل العدل، فإننا نجد أن القصاص أكثر العقوبات فاعلية.

وقد كانت فكرة الردع هي التي جعلت القطع عقوبة السرقة، وعندما يغيب هذا المعنى، ويعلو ران العلمانية على قلوب الناس، فينتكس الفهم ويتصدر الرويبضة، تبدو العقوبة وكأنها لا تتناسب مع الجريمة ويصبح من حق الشاعر في التعبير عن رق دينه أن يتساءل:

يدٌ بخمس مئين فضة فُديت
ما بالها قطعت في ربع دينار..

كما تجد شبهات الأوروبيين والمحدثين رواجا في بلاد المسلمين حين يكتبوا عن "وحشية" العقوبة والحد في الإسلام.

ولا جدال أن عقوبة القطع عقوبة شديدة غاية الشدة ولا أحد يسعد بها، لكن لمّا كانت جريمة السرقة هي أكثر الجرائم شيوعاً في المجتمع وأنها في حد ذاتها ذات طبيعة اجتماعية، فإن الأمن من الفساد بالنسبة للمجتمع أولى من بقاء يد الجاني، كما أن قطعها بسبب فساد صاحبها وإفساده، فيه رحمة بباقي أفراد المجتمع الصالحين وضمان لأرواحهم وممتلكاتهم، والقطع مع أنه أهون من القتل الذي كانت تحكم به المحاكم في الدول الاشتراكية على من تثبت عليهم السرقة، فإنه أشد فاعلية من القتل، ولعل في القطع حكمة أخرى ألا وهي منح السارق فرصة للتوبة النصوح لأن في قطع يده التي اجترأت على المعصية وأخذ حق غيره والتي قد أدمنت على هذا الفعل الشنيع فلا يستطيع الإقلاع عنه وآلته موجودة فربما يتوب مع نعمة زوالها عنه واستئصالها منه وإبعادها، فإنه سوف يجد الفرصة المواتية للتوبة والندم وشق طريق جديد نحو الآخرة التي منعته منها تلك اليد المعادية، وقد أثبتت التجارب والوقائع أن هذه العقوبة تحقق هدفها فتهبط بالجريمة إلى الحد الأدنى وتكاد تختفي، وهذا إنجاز عظيم يضاف لحكمة إيجابيات الشرع؛ لأنها في الوقت الذي تحقق هذه النتيجة المنشودة التي لا تصل إليها أبداً المجتمعات الحديثة، فإنها تحد من مرات توقيع العقوبة فكأنها تحكم على نفسها، وبهذا يتحقق الإنجاز العام بأقل التضحيات، وكذلك الكلام بالنسبة لعقوبة الجلد باعتبارها مهينة للكرامة الإنسانية، ولا جدال في أنها مهينة ولكن اقتراف الجريمة يدخل الجاني في مجال وبيل تختلف معاييره بعد الدخول فيه عنها قبله، والعقوبات بأسرها تتضمن عنصراً من عناصر المساس بالكرامة، وقد استعظم الإسلام الضرب دون جريمة فأوجب فيه القصاص، لكن التورط في الجريمة يوجد وضعاً جديداً، فهي توقع على شخص الجاني فلا يضار غيره بها، كما يحدث عندما يحكم عليه بالسجن مثلاً، فيضار أهله بانقطاع كسبه وحرمان أسرته من رعايته دون أن يكونوا قد اقترفوا إثماً، وفي السجن من المهانات التي تستمر لسنوات ما يصغر أمامها مهانة الجلد الناجزة.

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

الكبر والغرور من أسباب التكفير والفجور

..فإذا تأمَّلت حال خوارج هذا الزمان وجدتهم كأسلافهم قوما أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، ليس فيهم من هو معروف بعلم، أو له قدم صدق في الدعوة إلى الله.
فإذا سألتهم من أفتاكم من علماء الأمة بهذه التفجيرات التي ملأتم بها الدنيا؟
من أمركم بهذا الفساد الذي سميتموه جهادا؟
لم تجد فيما يسمون لك عالما واحدا؛ بل كل من هو معروف بشيء من العلم يحذر منهم ومن أفعالهم.

الكبر والغرور من الأدواء المهلكة لأصحابها، فقد كانا السبب في أول معصية عُصي الله بها بعد خلق آدم، فهما اللذان حملا إبليس على ترك السجود لآدم، كما قال تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ" البقرة34، وحين قال الله له: "مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ"، أجاب بقوله: "أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ"، فرأى إبليس بفهمه الفاسد ونظره الكاسد أنه أفضل من آدم، وأن الله سبحانه لم يعدل حين أمر الفاضل بالسجود للمفضول، وأي غرور أعظم من أن يرى المخلوق نفسه أعلم من خالقه.

ولذلك كان جزاء إبليس هو الطرد من رحمة الله والإبعاد عن الجنة، فإن الله لم يجعل فيها نصيبا للمتكبرين، كما قال تعالي : "فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ" الأعراف13، وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" مسلم، وقال عليه الصلاة والسلام: "تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم.."الحديث متفق عليه.

وكما أن الكبر والغرور كانا سببا في شقاء إبليس، فإنهما قد حملا ذا الخويصرة التميمي على أن قال للرسول صلى الله عليه وسلم حين قسم غنائم حنين: "يا رسول الله اعدل"، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: "ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل" متفق عليه . فرأى هذا المغرور الآخر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد جار ووقع في المنكر، وأن فهمه وعلمه يؤهلانه لأن يغير هذا المنكر الذي ارتكبه الرسول صلى الله عليه وسلم، وسكت عنه الوحي الذي لم يقر الرسول الله صلى الله عليه وسلم على خطإ أبدا، فعِوض أن يتهم رأيه وفهمه عمد إلى اتهام ربه ونبيه؛ ولذلك لم يتردد عمر في قوله: "يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه"، وفي رواية: "دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق"، فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية". وفي لفظ قال:"يخرجون على حين فرقة من الناس".

فما أشبه قول ذي الخويصرة: "اعدل" بقول إبليس: "أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ"، فإبليس لم يرض بقسمة الله ورآها ظلما، وذو الخويصرة لم يرض بقسمة رسوله ورآها جورا.

ثم إنه قد تحقق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فخرجت الخوارج حين جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ما جرى، والمثير أيضا أنهم لم يتورعوا عن مخالفة الصحابة جميعا، بل وعن تكفيرهم، ورأوا أنهم أعلم بكتاب الله وبدين الله من المهاجرين والأنصار. وقد نبههم إلى هذا عبد الله بن عباس رضي الله عنه حين ناظرهم وكانوا ستة آلاف، فقال لهم: "أتيتكم من عند صحابة النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار لأبلغكم ما يقولون، وتخبرون بما تقولون، فعليهم نزل القرآن وهم أعلم بالوحي منكم، وفيهم أنزل وليس فيكم منهم أحد"، ثم ناظرهم ابن عباس رضي الله عنهما فيما ينكرونه على علي رضي الله عنه فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا على ضلالتهم، قتلهم المهاجرون والأنصار (أخرجه الحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي)، وقد كان يكفيهم من مناظرة ابن عباس رضي الله عنه لهم قوله: "وليس فيكم منهم أحد"، لكنه الغرور والتعالم.



ثم إن الخوارج لم ينقرضوا منذ برز قرنهم، فلقد صدق من قال: "لكل قوم وارث"، وهم موجودون في زماننا بأسماء مختلفة، لكن الأصول هي الأصول، والغرور هو الغرور، فإذا تأمَّلت حال خوارج هذا الزمان وجدتهم كأسلافهم قوما أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، ليس فيهم من هو معروف بعلم، أو له قدم صدق في الدعوة إلى الله.

فإذا سألتهم من أفتاكم من علماء الأمة بهذه التفجيرات التي ملأتم بها الدنيا؟

من أمركم بهذا الفساد الذي سميتموه جهادا؟

لم تجد فيما يسمون لك عالما واحدا؛ بل كل من هو معروف بشيء من العلم يحذر منهم ومن أفعالهم.

فيا أصحاب هذا المنهج الفاسد استيقظوا من غفلتكم، وأوبوا إلى رشدكم، وارجعوا إلى العلماء الموثوقين من أمتكم، فأما بن لادن فرجل أعمال درس الاقتصاد، وأما الظواهري فطبيب للعيون، ليس لأحدهما تخصص في العلوم الشرعية، فإن كانا عندكم من العلماء فسموا لنا شيوخهما، والمتون العلمية التي أخذاها عنهم، وسموا لنا مؤلفاتهما في أبواب العقيدة أو في الحديث ومصطلحه، أوفي الفقه وأصوله، أو في القرءان وعلومه.. أو فيما شئتم من العلوم الشرعية، أو على الأقل أرشدونا إلى شروح لهما في فن من الفنون، فإن عجزتم عن ذلك، ولم تجدوا للقوم غير فتاوى التكفير والتفجير، أو الخوض في الأمور السياسية الكبيرة، فاعلموا أنكم تتبعون أحفاد ذي الخويصرة المغرور، وورثة منهج الخوارج الذين خرجوا عن علماء الأمة، ورأوا أنهم أعلم بالحق من الصحابة.

فإن عميت بصائركم فأرونا بماذا نفع هذا المنهج الإسلام والمسلمين، سوى أن فتح الباب أمام أعداء الإسلام ليشوهوا صورته عند الجاهلين بحقيقته، وليحاربوه تحت ذريعة "محاربة الإرهاب"، وكلما وقع انفجار في بلاد - الله أعلم بمن دبره - كان الإسلام والمسلمون على رأس قائمة الاتهام، مما يجعل الناظر في مجريات الأمور لا يستبعد أن تكون تنظيماتكم مخترقة وممولة من قبل أعداء الإسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فيا أصحاب منهج التكفير والتفجير، فالتوبة التوبة، وإياكم والغرور، فإنه يدعو إلى الفجور "وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" الأنفال، ورحم الله من عرف قدره فوقف عنده.

تنبيه هام: إن هذه الجريدة تتضمن آيات من القرآن الكريم فالواجب عدم امتهانها

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

دراسة حول صورة الإسلام في القناتين الألمانيتين "ZDF" و"ARD"

إعداد: وائل الأجهوري

قام أستاذان يعملان بجامعة "إرفورت" الألمانية بإجراء دراسة حول صورة الإسلام في الإعلام الألماني، من خلال متابعة ورصد البرامج التي تطرقت للإسلام في قناتي "ZDF" و "ARD" الألمانيتين، وصدرت الدراسة في شهر يناير الماضي، وقام موقع "إسلام دي" التابع للمجلس المركزي للمسلمين بألمانيا بنشر الدراسة التي تكشف وبوضوح عن قيام الإعلام الغربي بتشويه صورة الإسلام لدى الأوروبيين.

وأيًا كان الدافع، جهل أو قصد، فإن تقصير المسلمين في هذا المجال أمر واضح، لا يحتاج إلى دليل أو بيان، وتضمنت الدراسة ما يلي:

أجريت على مدار السنوات العديدة الماضية الكثير والكثير من الدراسات والأبحاث العلمية، التي ركزت على صورة الإسلام في وسائل الإعلام الألمانية، والتي تتناول الإسلام كقضية وتخبر عنه بصورة سلبية ملصقة به تهمة التشجيع على العنف أكثر من أية قضية أخرى.

بداية من اندلاع الثورة الخمينية في إيران عام 1978م/1979م ومرورًا بصعود الأصولية السياسية ومن خلال هجمات الحادي عشر من شتنبر 2001م، نشأت في الكثير من وسائل الإعلام الألمانية ثقافة المراسلة، والتي تربط بصورة كبيرة بين واقع الحياة المعقد للمسلمين، في مختلف أنحاء العالم، والبالغ عددهم 1,2 مليار نسمة - ثاني أكبر جماعة دينية في العالم - وبين العنف، وموضوعات القتال والصراع، مثل الإرهاب الدولي.

ونظراً لأن غالبية الشعب الألماني ليست لديه علاقات مباشرة أو اتصالات مع المسلمين، أو العالم الإسلامي، من شماله إلى جنوبه، فإن صورتهم عن الإسلام تتأثر تأثرًا كبيراً بما تنقله وسائل إعلامهم.

إن هذه الدراسة التي بين أيديكم عبارة عن تحليل لأسباب ودواعي إثارة موضوع الإسلام في المجلات الإذاعية والبرامج الحوارية والوثائق والتقارير والرسائل، على قناتي "ZDF" و"ARD" الألمانيتين.

وتناولت الدراسة بالبحث 22 برنامجًا في قناة "ARD"، و15 برنامجاً آخر في قناة "ZDF".

وتمحورت الدراسة حول سؤال رئيس ألا وهو: في أي إطار موضوعي، تم تناول الإسلام وإظهاره في هذه البرامج -محل الدراسة- التي يتم إعدادها، وتنفيذها من أجل تعميق معلومات المشاهدين في القضايا الاجتماعية الهامة، والتي تساعد أيضًا في إمداد المجتمع، ليس فقط بالمعلومات السياسية، وإنما أيضًا في خلق رأي عام يصب في اتجاه معين.

وتجنبًا لأي تشويه أو تحريف ربما يطرأ من خلال الأحداث على المدى القصير أو المتوسط، أو من خلال التركيز على بعض البرامج دون غيرها، تتناول الدراسة مجموعة كبيرة من البرامج خلال مدى زمني طويل في الفترة ما بين 1 يوليوز 2005م، وحتى 31 دجنبر 2006م.

ومما أسفرت عنه الدراسة أن الإرهاب والتطرف كان هو الموضوع الأكثر جاذبية، والأهم عند الحديث عن الإسلام، في المجلات الإذاعية والبرامج الحوارية، والتقارير والبرامج الوثائقية، ففي العام والنصف الأخير اهتمت ربع البرامج المتحدثة عن الإسلام بهذا الموضوع "الإرهاب والتطرف" بنسبة 23,31٪.

والأمر الأكثر غرابة من هذا هو أن باقي البرامج التي تناولت موضوع الإسلام، تأثرت في الغالب بالقضايا الخلافية المتصارع عليها، وقد قسمت على النحو التالي:

- الصراعات الدولية 16,54٪ مثل حرب لبنان، وصراع الرسوم المسيئة بين العالم الإسلامي والغرب.
- مشاكل الاندماج في المجتمعات الغربية 15,79٪ مثل معارضة بناء المساجد ومشاكل اللجوء في الدول الغربية.
- التعصب الديني 9,77٪ مثل اضطهاد المسيحيين في الشرق الأوسط.
- الأصولية والإسلامية 7,52٪.
- المرأة/ الظلم / التحرر 4,51٪ مثل قضايا الشرف واغتصاب النساء.
- حقوق الإنسان والديمقراطية 3,76٪.

لقد وصل عدد البرامج والحلقات المتعلقة بالإسلام، إلى 133 حلقة.

أما الموضوعات المحايدة أو الإيجابية التي لا تربط بين الإسلام والعنف والصراعات الاجتماعية، وإنما تتحدث عن صور الحياة اليومية المنتظمة، والقضايا الثقافية والدينية، فلم تمثل أكثر من خمس الموضوعات المطروحة في البرامج التي تحدثت عن الإسلام.

ويتم طرح الموضوعات المتعلقة بالإسلام في التليفزيون الرسمي اليميني، بصورة متقطعة من خلال الأحداث الحيوية المتواصلة في العالم، ومن أهم الأحداث التي وقعت خلال الفترة الزمنية التي تتناولها الدراسة ما يلي:

- يوليوز 2005 هجمات لندن.
- يناير 2006 مناقشات حول الاندماج "امتحان الجنسية".
- فبراير 2006 أزمة الرسوم المسيئة.
- غشت 2006 الحقائب المتفجرة في ألمانيا.
- شتنبر 2006 إلغاء الأوبرا المسيئة، المؤتمر الإسلامي في برلين، خطاب بابا الفاتيكان في ألمانيا.
- نونبر/دجنبر 2006 زيارة بابا الفاتيكان إلى تركيا.

وقد أثارت هذه الأحداث بصورة رئيسة وغيرها مجموعة من البرامج للحوار حول احتياج الغرب إلى الأمن والسلام، وقد اتخذت البرامج التي تناولت قضايا العنف والأمن عناوين لها مثل: "الإسلاميون الخطرون"، و"دعاة الكراهية في ألمانيا"، و"الإرهابيون كجيران"، و"بداية لمجتمع متعدد"، وخاصة في برامج المجلات الإذاعية مثل "فرونتال 121، كونتراست، مونيتور، بانوراما.. إلخ".

أما البرامج الحوارية فكانت تطرق لموضوع الإسلام، حينما يكون له أهمية في خضم الأخبار والأحداث الجارية، لذا فإنه من الملفت للنظر أن البرامج الحوارية كانت تناقش موضوع الإسلام دون طرح مباشر للأسئلة، بخلاف برامج المجلات التي كانت أكثر تخصصًا وتناقش قضايا بعينها وتلقي عليها الضوء، ومن أمثلة الأسئلة التي كانت تطرحها البرامج الحوارية ما يلي: "هل نحتاج لمزيد من التعصب؟ هل مازالت هناك فرصة للتعايش السلمي سويًا؟ التطرف مشكلة عالمية! دراما انفجار الشعوب! السلاح النووي والكاريكاتير.. إلخ".

ومعظم الموضوعات المتعلقة بالإسلام تم طرحها في المجلات الإذاعية المهتمة بالشأن الخارجي من عينة "مرآة العالم، مرآة العالم الثقافية، الجريدة الخارجية، جريدة أوروبا".

وفي هذه البرامج يوجد سيناريوهان مختلفان في التعامل مع الموضوعات ذات الصلة بالإسلام، فإما أن يتم التعامل مع الإسلام على أنه يمثل خطرا دقيقًا، وذلك من خلال التقارير التي تتحدث عن الأوضاع في مناطق الصراع، ومن أمثلة هذه التقارير "في مغارة الأسود - لقاء أمراء الإرهاب"، "أفغانستان - حملة الدعاية لطالبان"، "مكائد الإرهاب أم اختيار الجامعات"، أو بالأحرى في التقارير عن تعصب المسلمين تجاه غير المسلمين من عينة "مصر - المسلمون المفترسون"، "الأقلية اليهودية في غيران"، "الإكراه على الإسلام والزواج الإجباري - اضطهاد الأقباط المسيحيين في مصر"، أما السيناريو الثاني فهو أن يتم تناول الإسلام من خلال تقارير تناقش حالات أو وقائع فردية، ومن أمثلة هذه التقارير "المعركة الانتخابية بالحجاب - حماس ترشح امرأة للانتخابات"، "زواج المتعة - الدعارة في إيران"، "إمام بمشاعر كروية- شيخ تركي وفريقه لكرة القدم"، "المتعة في اللعب - الفريق النسائي لكرة القدم في إيران".

إلا أنه في المجمل العام يمكننا القول بأن تناول الإسلام في المجلات الإذاعية والبرامج الحوارية والوثائقية والتقارير التي تبثها قناتا "تست ديه إف" و"أه إر ديه" يتم بصورة سلبية تظهر الإسلام بصفته خطرًا داهمًا، ويسبب العديد من المشاكل في المجتمع والسياسة، فيما يزيد عن نسبة 80٪ من المواد المذاعة.

إن الإسلام من خلال قناتي "ZDF" و"ARD" يبدو وكأنه قمة العنف والصراع مما يعطي للمشاهدين الألمان انطباعًا بأن الإسلام لا يعتبر دينًا وشريعة بقدر اعتباره فكرًا وأيديولوجية سياسية وقوانين مجتمعية تتعارض وتتصادم مع القيم والآداب الغربية.

إن المتابع للبرامج المتعلقة بالإسلام -محل الدراسة- يرى بوضوح أن موضوع "الصراع" وربطه بالإسلام هو الغالب، وهذه الدراسة لا تتحدث عن كيفية معالجة موضوعات الإسلام في هذه البرامج، وإنما يوضح كيف يظهر الإسلام في إطار موضوعي، يسهم بوضوح في رسم صورة الإسلام في أذهان المشاهدين.

وخلصت الدراسة إلى بعض النتائج والتوصيات منها:

1- الإسلام يحتل مكانًا على الأجندة الإعلامية، خطورة الأسلمة المصطنعة للصورة الإعلامية.

من خلال البحث في الموضوعات، التي أثيرت في البرامج الحوارية، والمجلات الإذاعية بقناتي "ZDF" و "ARD" خلصنا إلى أن الإسلام جزء جوهري، من الأجندة الإعلامية، وأن الإسلام يثير الاهتمام أكثر من أي دين آخر إلى الحد الذي ينبغي فيه أن يتم التحذير من الأسلمة المبالغ فيها بالأجندة الإعلامية.

وعلى الصحفيين والإعلاميين بذل المزيد من الجهد حين إعداد برامجهم حول موضوعات متعلقة بالإسلام، وأن يتفهموا الخلفيات التاريخية للإسلام بدلاً من إلصاق التهم بالإسلام من غير فهم أو إدراك.

2- ضرورة توسيع وتعميق النظرة للإسلام:

إن المشكلة ليست في طرح هذه البرامج الحوارية والوثائقية للعنف والصراعات الاجتماعية والطائفية في العالم الإسلامي، وإنما المشكلة تكمن في التركيز على هذه الموضوعات فقط، وهو أمر لا يحدث عند تناول أية ديانة أخرى في الإعلام الألماني.

3 - تركيز الإعلام الألماني على ربط الإسلام بالعنف:

هذا التركيز الواضح من خلال الإحصائيات التي ذكرناها ساهم بشكل أو بآخر في مزيد من سوء الفهم بين المجتمع الغربي والمسلمين.

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

"لورانس" العرب.. الوجه الآخر للخيانة

إعداد إبراهيم الوزاني

إلى كل من يستمد أخلاقياته ومثالياته من الغرب.. إلى كل موهوم بثقافة الغرب.. إلى كل من تلقفته دعوات الكنيسة المسيحية بأنها ملاك الرحمة بين غابات الوحوش.. هذا دليل من التاريخ على خيانة عظمى.. خيانة أمة وتاريخ..

الرجل المريض.. وأحلام الخونة:

من أعظم الأحداث التي حفلت بها القرون الوسطى السقوط الأعظم للصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين.. ثم سقوط القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية على يد محمد الفاتح، وما تبع ذلك من ارتفاع نجم الإمبراطورية العثمانية كأسد هائج لحماية الإسلام والحرمين الشريفين ولكن! دوام الحال من المحال، فالأسد الهائج أصبح عجوزاً متهالكاً تكالبت عليه قوى الاستعمار الأجنبي لتطلق عليه: "الرجل المريض" ولتلتقي أحلام الصليبيين بأحلام اليهود في السيطرة على العالم الإسلامي وتمزيق وحدته.

نقطة الانطلاق:

في جامعة "أكسفورد" أشبع "لورانس" نهمه للقراءة، فكان يقرأ خمس كتب في اليوم الواحد، يتبحر في العلم في مجال دراسة القلاع خاصة حصون الحروب الصليبية العسكرية في الشام ومصر، وهو يسارع للقيام بزيارات متكررة إلى قلاع سوريا ثم بيروت وهناك التحق بمدرسة تنصير أمريكية لتسهل له مهمته الاستشراقية، أي دراسة لغات وآداب وعادات وتقاليد الشرق الإسلامي.. حيث تعلم ثمانين كلمة عربية اعتبرت بداية مشواره في بلاد العرب .. إلى أن أتقن "لورانس" اللهجات في الجزيرة، وتعرف على مسالكها الوعرة، وعايش العرب في صحراء قاحلة يقاسي شظف العيش كأنه واحد منهم، يلبس الثوب والعقال ويأكل السمن والتمر والأقط، ويستمع إلى حكاياتهم ومغازيهم، وستأتي لحظة يكون هو الترجمان بين أمراء الحرب من قبائل العرب وبين الجنرال البريطاني "اللمبي"، يخاطبهم بلهجتهم ويذكر لهم أبرز معالم مناطقهم مما يدفع هؤلاء تلقائيًا إلى الإفضاء بالمعلومات من باب الاطمئنان، حقًا لقد طبق "لورانس" حرفيًا مقولة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "من تعلم لغة قوم أمن شرهم".

الصراع حول الشام:

بعد التخرج التحق "لورانس" ببعثة علمية لدراسة الآثار في سوريا مدة أربع سنوات يقترب فيها من بدوها يركب دوابهم ويتحرك في بلادهم بحرية ما بين شرق وغرب الجزيرة وشمالها وجنوبها، ويحبه العرب أكثر، فهو يأكل من طعامهم ويتكلم لغتهم ويتحمل ظروف الصحراء الصعبة ما لا يتحمل أي أوروبي غير "لورانس".. لقد كانت الدافعية والدأب والطموح هي التي تقوده.. أعجب به العرب إعجابًا كبيرًا، كان كريمًا بينهم أو صاحب يد كريمة (كريم من مال غيره) فيعرض عليه رجال القبائل الزواج من بناتهم.. فيرفض.

كل ذلك الكرم الحاتمي يخفي ما كان أعظم.. لقد حولته المخابرات البريطانية من طالب آثار إلى موظف خرائط في مكتبها في القاهرة يرسم لها خرائط تفصيلية دقيقة لبلاد العرب كما رآها.

وقد وكلت بريطانيا لـ"لورانس" مهمة أن يتفقد مواقع الأتراك ومدى تحصيناتهم العسكرية ببلاد العرب عامة والجزيرة خاصة مع توقعات باتت مؤكدة باقتراب قيام الحرب العالمية الأولى 1914م ضد الدولة العثمانية ومعها ألمانيا، تلك الدولة المعادية للحلفاء التي انحازت للعثمانيين ووقعت معهم امتياز مشروع مد خط سكة حديد يربط الشام ببغداد وهذا ما يهدد المصالح الصهيونية بتلك المنطقة.

اتفاق الغدر: الثورة العربية 1914-1918م:

تعلن أوروبا قيام الحرب العالمية الأولى ضد الدولة العثمانية المسلمة - حاربت بمدافع ودبابات قديمة رديئة الصنع-وحلفائها، وينجح العثمانيون في العراق بحصار فرقة من البريطانيين، وتأتي الأوامر لـ"لورانس" بإنقاذ هذه القوات، فحاول جاهدًا عرض رشوة مقدارها مليوني جنيه من الذهب على القائد التركي خليل باشا مقابل فك الحصار، لكن كان الاستسلام قبل تسلم الرشوة.

في ذلك الوقت بالذات تظهر جهود الشريف حسين شريف مكة الذي أراد أن يصطاد في الماء العكر، فسارع بالاتصال سرًا بالقوات البريطانية ليدخل معها في اتفاق ضد الأتراك يشغلهم بثورته عن الحرب الكبرى، مقابل أن تجعله بريطانيا بعد تقسيم الغنيمة خليفة للمسلمين يستقل بالحجاز ومصر والشام، ويحكمها أبناؤه من بعده، فوجد الإنجليز ضالتهم فيه وعقدوا معه الوعود البراقة ذات الوجهين، وشجعوه على الثورة ضد الخلافة.

أرادت بريطانيا من ذلك إشعال الحرب بين المسلمين حتى يسلم جيشها من أي خسارة خصوصا والحرب في الصحاري ليس بمستطاع الإنجليز، كذلك إضعاف العثمانيين بإثارة الثورات الداخلية، ولم يغفل البريطانيون أن العرب سيدافعون على الخلافة في وجه العدو الغربي الصليبي، إذا ما هاجمت بلاد المسلمين.

بعدما أعلن الشريف ثورته العربية سنة 1916م، انتشرت هذه الثورة لتشمل الحجاز والشام والعراق ومصر، فسارعت الدولة العثمانية لإنقاذ الموقف، فأصلحت سكة حديد الحجاز ليسهل لها مهمة وصول الإمدادات الألمانية.

في المقابل واصل "لورانس" مكائده فانسل إلى الحجاز واجتمع بنائب الشريف وهو ابنه عبد الله الأكبر، لكنه صرف النظر عنه إلى أخيه الأصغر فيصل الذي كان يتميز بعقل ومظهر وشجاعة، ويصلح أن يكون قائد الثورة العربية.

بعد هجوم جيش الخلافة ضد الثائرين، نظم "لورانس" قوة صغيرة ضاربة، واختار لها مجموعة من المقاتلين العرب المعروفين بجرأتهم وحنكتهم في القتال، وبعد تسليحهم بالبنادق والذخائر، ترأسهم وانطلق بهم على الجمال ومضوا عميقاً في قلب الصحراء يحمل كل منهم مؤونته الخاصة، وسرعان ما بدأوا هجماتهم على الحاميات التركية في القرى المعزولة وتطورت هجماتهم في غضون أسابيع حتى أصبحت الموانئ الصغيرة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر تحت سيطرتهم.

الخطة الذكية!

ثم سعى "لورانس" لإعداد خطة (حملة الحجاز) لتطهير الأراضي العربية من العثمانيين واشترط على الحلفاء البقاء بعيدين عن مكة والمدينة المنورة لعدم استفزاز المسلمين دينيًا، فانطلقت حملة الحجاز وقد رسمت لنفسها أن تبتدئ من المنطقة الغربية في جدة ثم ينبع فالوجه فالعقبة فدمشق فحلب فحماة.

وفي مدينة الوجه كان سقوط أول معاني التسامح والحرية التي كانت تنادي بها بريطانيا وحلفاؤها، حيث تم قتل 250 أسيرًا تركيًا بأمر من "لورانس" نفسه الذي بدأ يكشف عملته المزورة تحت طيات الكره الصليبي لكل ما هو عربي ومسلم، ثم توالت الانتصارات لهذا التحالف الشريفي الـ"لورانسي"، دفع الكثير من القبائل للدخول مع الحلف طمعًا بالمال والجاه.

ثم قام "لورانس" بإرسال تعليماته للطائرات البريطانية بإطلاق القذائف على خط حديد الحجاز في أوقات متباعدة لإشغال العثمانيين بإصلاحه مدة أطول.

من كمين لآخر ومن عملية تفجير للقطارات إلى أخرى، كان "لورانس" يعمل جاسوساً خلف خطوط العدو، ودخل المدن التي يسيطر عليها الأتراك متخفياً بزي العرب وجمع أسراراً عسكرية قيمة كان يرسلها من فوره إلى "ألفيلد مارشال ألنبي" القائد الأعلى للقوات البريطانية في الشرق الأوسط.

وخلع الشيخ عودة ضرسه!

كان فيصل و"لورانس" يريان في العقبة مدينة هامة، فموقعها على البحر الأحمر جعل لها سهولة الوصول إلى الإمدادات القادمة من أوروبا، ولكن الطريق الذي يوصلهم إلى العقبة به قبائل عربية (خوارج على الخلافة) من سكان العقبة اعتادت السلب والنهب لمن يمر بها.

استطاع الخبيث "لورانس" استمالة هذه القبائل عن طريق إغراقهم بألوف الدنانير الذهبية، ونجح في كسب ولائهم خاصة "الشيخ عودة" زعيم قبيلة وادي سرحان، الذي وافق على التحالف معه مقابل عروض مغرية، ودلل على شدة الولاء بأنه سيخلع من فمه سنًا ذهبيًا مصنوعًا في تركيا!

أعلن الشيخ عودة الانضمام للمعسكر الثنائي ليغدو ثلاثيًا، وبدأ التحالف بالزحف من الحجاز إلى الشام لتسقط مدنها تباعًا بين أيديهم.

اكتشاف الخدعة الكبرى:

في عام 1917م تنشب الثورة الشيوعية التي قضت على النظام القيصري في روسيا، وسقطت في أيدي الثوار معاهدة سرية إسمها "سايكس بيكو" عقدت بين فرنسا وإنجلترا حول تقسيم أملاك الدولة العثمانية بعد سقوطها في الحرب العالمية الأولى.

ويصدم العرب بهذه المعاهدة ويهددون بريطانيا بالانسحاب في الحرب نحو العثمانيين ولكن للأسف فالوقت قد مضى خاصة وأن "لورانس" جاهد ليقنع العرب بأكذوبة هذه المعاهدة وعدم سريان مفعولها..

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ظهر المخطط الصليبي بوقوع لبنان وسوريا تحت الانتداب الفرنسي، وفلسطين تحت الحماية البريطانية، وغضب الأمير فيصل فوعده "لورانس" باعتلاء عرش سوريا بعد استيلاء الحلفاء على دمشق.

ثم تزداد الأمور تعقيدًا بصدور وعد "بلفور" (وزير خارجية بريطانيا1917م) بجعل فلسطين وطنًا قوميًا لليهود، ويزداد العرب والمسلمون حسرة وقهرًا، فقد زرعت بريطانيا الخائنة اليهود في فلسطين وتنكرت لوعودها.

نهاية "لورانس":

وضعت الحرب العالمية أوزارها بسقوط الدولة العثمانية وتقسيم ممتلكاتها ليعطى فيصل حكم العراق لكن دون استقلال كامل من الإنجليز، ويعطى الشريف حسين حكم منطقة الحجاز الذي لم يدم طويلاً حيث ضمها الملك عبد العزيز رحمه الله في توحيده للحجاز، أما عبد الله بن الحسين فقد استقل بالأردن، وبعد موت والده الشريف حسين سنة 1931م اغتيل عبد الله سنة1951م، وجلس بعده ابنه الأمير طلال مدة قصيرة ثم تولى بعده ابنه حسين.

أما "لورانس" الذي كان ينتظر له أن يموت بشجاعة موتة بطولية فقد مات بحادثة عارضة حين انقلبت الدراجة النارية التي كان يقودها بجنون في إحدى ضواحي العاصمة البريطانية سنة 1935م، أما الجنرال "اللمبي" وهو الحاكم العسكري البريطاني الذي كان رديفًا لـ"لورانس" عندما دخل دمشق توجه إلى قبر صلاح الدين الأيوبي قائلاً: "لقد عدنا يا صلاح الدين".

"يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" (الصف).

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

"ولا تحاسدوا"

بقلم: إلياس العثماني

من الأمور المقررة في شرعنا الحنيف أن نجاة البدن وسلامته تكون بحياة القلب وسلامته، ومتى كان القلب نقيا من الشبهات والشهوات أثمر لصاحبه الحياة الحقة التي يسمو على علياءها كل ذي لب حصيف، وإذا كان القلب دنسا مريضا -والعياذ بالله- رجع ذلك على صاحبه بالخيبة والخسران والذلة والهوان.

ومن بين الأمراض التي تصيب القلب "مرض الحسد" هذا الداء العضال والمرض الفتاك، المسؤول عن كل عداوة وبغضاء حاصلة بين بني الإنسان.

لأجل هذا أحببت أن أتناول هذا الموضوع بالبحث عسى الله أن ينفع به كاتبه وقارئه وسامعه.

1- معنى الحسد والتحذير منه

الحسد هو تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد، وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى: "الحسد هو البغض والكراهة لما تراه من حسن حال المحسود" (مجموع الفتاوى). ونص ابن الجوزي رحمه الله على أن الحسد هو: "تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يصر مثلها للحاسد". كما في الطب الروحاني، وهذا الخلق الذميم مركوز في طباع البشر، ذلك أن الإنسان بطبعه لا يحب أن يرى أحداً أحسن منه أو أعلى شأنا منه في شيء من الفضائل.

وقد وردت النصوص الشرعية في التحذير من الحسد، فقد وصف الله اليهود به في مواضع من كتابه كقوله تعالى: "وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم.."، وقوله سبحانه: "أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ"، وقد أمر الحق سبحانه بالاستعاذة من شر الحاسد بقوله: "وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ"، ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تحاسدوا.." الحديث (مسلم)، مما يدل على أن الحسد أمره خطير وشره مستطير.

2- مراتب الحسد

للحسد مراتب متفاوتة بعضها أشر من بعض، وهي:

أن من الناس من يتمنى زوال نعمة المحسود ثم يبغي عليه بالقول والفعل.

ومنهم من يسعى في نقل تلك النعمة إلى نفسه.

ومنهم من يسعى في إزالة النعمة فقط من غير أن يحب نقلها إلى نفسه، وذلك في غاية الخبث والقبح، كما يذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله.

ومنهم من إذا حسد لم يعمل بمقتضى حسده ولم يبغ على المحسود لا بقول ولا بفعل، وهذا لا إثم عليه كما ذكر الحسن البصري رحمه الله.

ومنهم من إذا حسد لم يتمن زوال نعمة المحسود بل يسعى في اكتساب مثل فضائله، ويتمنى أن يكون مثله، وهذه هي الغبطة، ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا حسد إلا في اثنتين: "رجل أتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وأطراف النهار، ورجل أتاه الله القرآن الكريم فهو يقوم به أناء الليل وأطراف النهار" رواه البخاري ومسلم، وسميت الغبطة حسدا هنا، من باب الاستعارة. كما قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى.

ومنهم من إذا وجد في نفسه الحسد سعى في إزالته وأبذل ذلك بالإحسان إلى أخيه والدعاء له ونشر فضائله، وهذا من أعلى درجات الإيمان، ويطير بصاحبه في شواهق الكمالات.

3- أسبابه الحسد

سبب الحسد هو حب التميز على الجنس، وكراهة المساواة، فإذا حصل للغير نعمة تميز بها، تألم هذا الإنسان الحاسد لتلك الميزة أو بمساواته له فيها، فلا يزيل ذلك الألم إلا زوال تلك النعمة عن المحسود. ومن الأسباب أيضا: العدواة والبغضاء والكبر والخوف من فوات المصالح والمقاصد المحبوبة، وخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله. كما نص على ذلك الغزالي رحمه الله.

4- شذرات من أقوال السلف في الحسد

قال أحد السلف: "أول خطيئة كانت هي الحسد، حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته، فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية".

وعن الأحنف بن قيس قال: "لا راحة لحسود".

وقال آخر وهو يعظ آخاه: "..وإياك والحسد فإنما قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ.." الآيات.

وأنشد بعضهم:

كل العداوات قد ترجى إماتتها
إلا عداوة من عاداك من حسد

وكذلك:

دع الحسود وما يلقاه من كـيد
يكفيك منه لهيب النار في كبده
إن لمت ذا حسد فرجت كربــته
وإن سكت فـقد عذبتـــه بيـــده

وقال أبو الدرداء: "ما أَكْثَر أحدٌ ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده".

5- مخاطر الحسد وآفاته

الحاسد معترض على الله عز وجل وعلى قضائه.

الحسد قدح في التوحيد وقذى في عين الإيمان.

الحاسد جاحد لأنه لا يرضى بقضاء الله.

لسان حال الحاسد يقول: "لماذا أعطى الله النعمة لهذا الشخص ولم يعطني إياها؟!".

يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وورد هذا المعنى في حديث لكنه ضعيف.

اللهم طهر قلوبنا من الغل والحقد والحسد، واجعلنا إخوة متحابين فيك، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، وألف بين قلوبنا، ربنا إنك أنت السميع العليم.

والحمد لله رب العالمين.

بين السفاهةِ والسياسة!

بقلم: أحمد العساف

يأنف العقلاءُ من مُشابهةِ المجانين، والحكماء يخالفون دوماً سُبل السفهاء، وهذه بدهية مسلَّمة من تتبع السير والوقائع التاريخية والحاضرة، وقد قيل لأحد العقلاء: ممن تعلمت الحكمة؟ فقال: أرى أفعال السفهاء فأتجنبها، وقيل لآخر: ممن تعلمت الأدب؟ فقال: من قليل الأدب. ويبالغُ بعض الناس حتى يكره سلوكَ طريق يستخدمه فئامٌ تأبى نفسه مشاركتهم في شأن، فالكريمُ ليس كالدنيئ، والمتأني لا يأنس بالمتهور.

والناظرُ إلى بعض القضايا التي يتقاطعُ فيها الساسةُ مع "الفنانين"-على اختلاف فنونهم- يستغربُ من هذا التوافق ووقع الحافر على الحافر، ولو ظنَّ إنسان أنَّ مخرجَ التصريحاتِ والقرارات في عالم السياسة هو ذاته منبع المسلسلاتِ والأفلام والرسومات في دنيا الفن لما أغربَ في ظنه.

وإذا حصرنا القضايا التي يتماثلُ طرحُ الفريقين حولها نرى حقائقَ جديرةً بالتأمل: فمن استهزاءٍ بدين الله وسخريةٍ برجالاتِ الإسلام، إلى هجوم لا هوادة فيه على التاريخ الإسلامي والجهاد وأحكام الفقه والدعوات الإصلاحية، انتهاءً بهدم الميزان الأخلاقي الدقيق والاعتداءِ الآثم على الفضائل وكريم السجايا.

ولو قصرنا الحديث على الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة لاستبان الأمر لنا واتضح خيرَ بيانٍ وأوضحه.

فالحجاب صرع الديمقراطية الغربية في مهدها ومرغها في الوحل إبَّان قضيته الكبرى في فرنسا بلد الحرية والنور -كما يقولون-، والحجاب أقضَّ مضاجع القادةِ الغربيين حتى هاجمه رئيسا وزراء بريطانيا وإيطاليا وأكَّد الهجوم وزير الخارجية البريطاني غير مرة، وشغلت قضية الحجاب الإعلامَ الاسترالي زمناً لا يُستهان به، وكانت ولازالت مسائل المرأة من مآخذِ الأمريكان المعتدين على الحكومات العربية والإسلامية.

وفي عالمنا الإسلامي يتكرر بين الفينة والأخرى هجوم الرئيس التونسي على الحجاب ومظاهر العفة بادعاءاتٍ باطلة ودعاوى سمجة، كوصمها بالتخلفَ أو أنها جاءتْ من بلْدان "متخلفة"، في إشارة دنيئة إلى بلاد كريمة لطالما استفاد هو وزمرته الحاكمة منها، ولا ينفع مع اللئيم إحسان.

وجاء بعد زعيم تونس وزير الثقافة المصري ليسبَّ كل امرأة مسلمة محجبة ويطلق عليها من الأوصاف ما يليق به وبثقافته المنحرفة التي لا يغير انحرافها اعتذاره الكاذب.

وإذا غادرنا عالم السياسة للمهرجين من ممثلين وغيرهم وجدنا أن أغلب المواد الفنية تخدش الحياء والفضيلة وتهزأ بالحجاب والحشمة إما تصريحاً أو ضمناً بدعوتها للسفور والفجور والآثام. ولا أعتقد أنَّ ثمَّ مادة فنية -أغنية أو مسلسلة أو فيلم أو مجلة- تكاد تخلو من مثل هذه الدعوات التي يعلنها أناسٌ لا يشرفُ بهم عَالَمُنَا وليسوا في الناس بشئٍ وإن بدا أنهم شيءٌ ما.

وحين نضَعُ هؤلاءِ السياسين قُبالةَ أولئك الفنانين لا يسعنا إلا أن نحتارَ فيمن نخاطبهُ بشيءٍ من شعر شيخ المعرة أبي العلاء حين وصفَ بعضَ رجالاتِ زمانه قائلا:

يسوسون الأمورَ بغيرِ عقل
فينفذُ أمرهم ويُقـال ساسـَـةْ
فأفٌ من الحياةِ وأفٌ مـــني
ومن زمنٍ رئاسته خساسـَـةْ

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

مسابقات ملكة الجمال وكرامة المرأة

كيف يسمح لمثل هذه التظاهرات أن تنظم في بلد مسلم يتخذ من مذهب الإمام مالك بن أنس مذهبا له؟

أعلن المركز الدولي للعروض التابع لمكتب الصرف بالدار البيضاء عن فتح مجال المشاركة في مسابقة ملكة جمال "معرض المرأة"، الذي يستهدف الفتيات اللائي تتراوح أعمارهن بين 18 و26 سنة.

ويتساءل المرء كيف يسمح لمثل هذه التظاهرات أن تنظم في بلد مسلم يتخذ من مذهب الإمام مالك بن أنس مذهبا له؟ بل يحس كل متشبث بدينه بتناقض فظيع عندما يسمع أن الوزارة الوصية على تطبيق المذهب قد طردت أئمة لأنهم أغفلوا تطبيق بعض الجزئيات في فقه المالكية كالسدل ودعاء القنوت في الصبح بينما هي تتجاهل أو تنبذ المذهب نفسه وراء ظهرها بتجاهلها التحذير والتصدي لمثل هذه الفظائع، أم أن الفقه المالكي لا يقول بوجوب ارتداء الحجاب والنهي عن التبرج!

في حين يستورد العلمانيون كل مظاهر التفسخ من المجتمعات الغربية -التي استفاق عقلاءها بعد فوات الأوان- ويريدون استنباتها في المجتمعات الإسلامية في تحدّ لكل معالم الأخلاق والقيم، وكل التشريعات المانعة لذلك، بل في تحدّ وجرأة على الله عز وجل، الذي يغار أن تنتهك محارمه.

هذا مع العلم أنه من البديهي أن مثل هذه المسابقات التي تُكشف فيها العورات تندرج في جملة الخطط والإجراءات المتخذة من أجل تهجين المجتمعات الإسلامية.

وهي من أبرز مظاهر التغريب التي عرفتها مجتمعاتنا، ونعتبرها كذلك للأسباب التالية:

- لكونها مستوردة من الغرب اللاديني/ العلماني، فهم لفراغهم الروحي وتقديسهم للمادة يولون اهتماما كبيرا لجمال وأنوثة المرأة، لأن المرأة عندهم تكرم لجمالها لا لدينها، ونحن يجب علينا ألا نسير وراء كل دعوى هدامة وإن ادَّعى أصحابها المدنية والتحضر.
- لما فيها من مخالفة للدين، بل للمعلوم من الدين بالضرورة بالنسبة للمرأة المسلمة، وهذا الأمر يتجلى في وجوب حجابها، قال الله عز وجل: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ" الأحزاب:59.
- لأن في ذلك تشبها بالكفار، والمسلم نهي عن التشبه بهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم:"من تشبه بقوم فهو منهم".
- لما في ذلك من تناف مع عفة وحياء المرأة، فالمرأة العفيفة الحيية الحرة لا تبرز مفاتنها أمام المحارم بله الرجال الأجانب.
- لأنه يتنافى مع حفظ كرامة المرأة لأن مقياس التميز والتفوق هو جمال الوجه وحسن القد، ولا اعتبار ولا قيمة للتفوق الثقافي والعلمي والأخلاقي.
- لمنافاته للإيمان لأنه لا إيمان لمن لا حياء لها، قال النبي صلى الله عليه وسلم:"الحياء والإيمان قرنا جميعا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر".

نكتفي بما ذكرنا من الأسباب حتى لا نطيل على القارئ وإلا فهناك أسباب أخرى معلومة عند من علم حقيقة حجاب المرأة وأيقن حكمة الله الجليلة في فرضه على النساء، أما من عميت بصيرته عن رؤية ذلك فإنه يعمل بكل ما أوتي من خبث طوية وسواد قلب وزيغ هوى على محاربته وتمييع المجتمعات الإسلامية.

وفي الأخير نسوق كلاما لأحد دعاة التحرر المنصفين وهو الدكتور "هنري ماكوو" حيث قال بعد كلامه على المرأة المسلمة: "على النقيض، ملكة الجمال الأمريكية وهي ترتدي البكيني فهي تختال عارية تقريبًا أمام الملايين على شاشات التلفزة.. وهي ملك للعامة، تسوق جسمها إلى المزايد الأعلى سعرًا، هي تبيع نفسها بالمزاد العلني كل يوم" ويضيف قائلا: "في أمريكا المقياس الثقافي لقيمة المرأة هو جاذبيتها، وبهذه المعايير تنخفض قيمتها بسرعة..هي تشغل نفسها وتهلك أعصابها للظهور".

استغلال الفقر وقلة التمسك بأحكام الدين وراء عملية تهجير نساء مغربيات للعمل في ضيعات الاسبانيين

عرفت بعض البوادي المغربية هجرة النساء إلى اسبانيا من أجل العمل في الضيعات الفلاحية، عبر عروض مغرية بالنسبة للحالة الاجتماعية لأولئك النسوة، وكان تقديم آخر هذه العروض التي أشرفت عليها وكالة التشغيل وإنعاش الكفاءات بأكادير لفائدة فلاحات أولاد تايمة واللواتي تتساءل العديد من المستفيدات من هذا العرض عن البنود المتعلقة بعقود عملهن، إذ يلف الغموض البنود المتعلقة بإجراءات السفر والأجرة، وظروف الإقامة..

إن المئات من الشباب يموتون غرقا بسبب زوارق الموت رغبة منهم في تحقيق حلمهم في السفر إلى اسبانيا، ومن نجا وغيرهم كثير يقتصر عملهم داخل الضيعات الفلاحية، إذن لماذا يحرص هؤلاء الفلاحون والمستثمرون الأجانب على استقطاب اليد العاملة من النساء مع ما في ذلك من المشاكل، ويتجاهلون آلاف الشباب البدوي الذي يغامر بحياته عبر السفر على متن قوارب الموت؟

ثم ما هي المعايير لانتقاء النساء المستفيدات من هذه العروض؟

إن ترحيل هؤلاء النسوة واستثمارهن في مثل هذه الأعمال هو مخالف لما ينبغي أن تتمتع به النساء من العيش الحسن، ومن العيش تحت دفء غطاء الأسرة الذي يحمي مع الوازع الديني المرأة، من الوقوع في المخالفات.. وإلا من يحمي هؤلاء النسوة من ذئاب البشر في جو الغربة عن البيت والمحرم والدولة المسلمة؟

ثم أما آن الآوان لدولتنا أن تخلق للنساء اللواتي يعانين الفقر والحاجة، ومحدودية الفهم والثقافة مجالا للعمل بضوابطه الشرعية، أم أن الفقر سيجعل نساءنا يفقدن كرامتهن بالعمل بعيدا عن الوطن والأهل في ظروف غامضة؟



نحن لا ننفي الفقر الذي تعاني منه بوادينا! لكن تنمية البوادي لا تكون عن طريق استغلال النساء وتهجيرهن إلى الخارج! بل تكون عن طريق الاستثمار، وإعانة الفلاحين حتى يتغلبوا على مشاكلهم..

نحن نعلم أن اسبانيا مثلا هي في حاجة ماسة لليد العاملة، فلماذا لا نفكر في استراتيجية تمكننا ولو بعد سنوات من أن نفرض عليهم تشغيل الرجال الذين يعاني منهم عدد كبير من البطالة بدل هؤلاء النساء حتى لا تبقى دورهم وأطفالهم وأزواجهم دون رعاية واهتمام بشروط تحمي لهم كرامتهم ودينهم..

ثم إذا كان الكثير من الذكور يرجعون من تلك الدول وقد هجنت فطرهم بل مسخت، ثم ينشرون في بلدهم ما تعلموه من عادات الغرب المخالفة لهوية المسلم!! فكيف إذا رجعت النساء بنفس ذلك الحال؟

أليس هذا فتح لباب من أبواب إيقاع المجتمع المسلم في براثين الرذيلة؟!!

ومادام الأمر قد وصل إلى هذا الحد في الابتعاد عن أحكام الدين والقيم والأعراف فلا يسعنا إلا أن نذكر من بقي في قلوبهم حظ مما ذكرنا به على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم، حيث قال: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر يوما وليلة ليس معها ذو حرمة" رواه البخاري ومسلم.

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

الفلسفة أسباب النشأة وأهم المدارس
شخصيات سجلها التاريخ الغربي..

إن المتأمل في أعماق التاريخ والغائص في لُجَتِه، ليخرج منه بالعجب العجاب، فكلما نقبت وقلَّبت في صفحات التاريخ، وجدت الكثير والكثير من الفوائد والعبر، والتي قل من عرفها واستفاد منها.

فالقراءة في صفحات الأزمان، وأيام الأمم السابقة، وتاريخ الحركات والحضارات، لا شك أنها توصل إلى إحدى الحقائق شديدة الأهمية، والتي يمكن أن تعتبر كناموس كوني.

تلك الحقيقة هي أنه على مر العصور والحقب الزمانية، وفي مختلف الجماعات والدول، كانت دائمًا ما تقوم الحركات والحروب والحضارات، وتتكون النظريات والقناعات، نتيجة أفكار وعقائد تمثلت في شخصيات وأفراد، أو أدوار وقرارات قاموا بعملها على المستوى الشعبي.

المهم أن عنصر الشخصية وتأثيرها في البناء الفكري والثقافي للأمم والشعوب، كان أمرًا متواترًا عبر التاريخ الإنساني عامة.

ولك أن تتأمل ذلك في شتى المجالات العلمية والاجتماعية والدينية، وكمثال على ذلك: فإنك لا تتأمل الفكر الغربي إلا وتجد رموزًا وأعلامًا، ساهموا في تكوُّن الفكر وصياغته.

فإنك لا تذكر الفلسفة إلا ولا بد أن تذكر "سقراط" و"أفلاطون" و"أرسطو".

ولا تذكر الرجال الكنيسة إلا وتذكر "بولس" و"نيقولا الأول" و"إنوسنت الثالث" و"لوثر كينج".

ولا تذكر العلوم الإنسانية إلا وتذكر "فرويد" و"نيتشة" و"ماركس" و"دانتي". وهكذا..

إن الفكر الغربي لا زال في حاجة إلى الكثير من التوضيح، وذلك بسبب تبنيه من طرف مجموعة من أبناء جلدتنا، وطرحه والترويج له من خلال قنواتهم الإعلامية وغيرها على أنه شعار للتطور والحداثة.

الفلسفة أسباب النشأة وأهم المدارس

نشأت الفلسفة في بقاع عدة ولكنها اشتهرت وازدهرت في بلاد اليونان خاصة، وذلك لأن بلاد اليونان قد تفاعلت فيها مجموعة من العوامل، جعلت الفلسفة اليونانية أكثر عمقًا وتشعبًا.

تلك العوامل نوجزها فيما يلي:

1. **العامل الجغرافي**: المتمثل في الموقع الاستراتيجي الذي كانت تحتله بلاد اليونان الكبرى، إذ كانت تطل على حوض البحر الأبيض المتوسط مهد الحضارات، وتتوسط ثلاث قارات: أوروبا وآسيا وإفريقيا.

2. **العامل التاريخي**: إذ تأتّى للقبائل والمدن والجزر اليونانية التي كانت عبارة عن تجمع من المدن المستقلة المشتتة والمتطاحنة في عصر مظلم استمر حتى حوالي 800 ق.م الالتفاف حول وحدة قومية وأمة واحدة، فعرفت البلاد عهدًا جديدًا مع ظهور الحضارة اليونانية.

3. **العامل الاقتصادي**: ومؤشره نمو قطاعي الفلاحة والصيد البحري وازدهار الصناعة باكتشاف الحديد، علاوة على تطور التجارة الداخلية والخارجية البرية والبحرية، خاصة بعد استخدام النقد المعدني (حوالي 700 ق.م)، وتطوّر التجارة له ارتباط بالعلم، حيث تطور علم الحساب بزيادة تعقيد التبادل التجاري، وتطوّر الفلك بزيادة المخاطرات الملاحية، وهذا كان من أهم العوامل.

4. **العامل الاجتماعي**: وتجلى في ظهور ثلاث شرائح اجتماعية تتنافس على الحكم، وهي شريحة الفلاحين ثم الصناع فالتجار.

5. **العامل السياسي**: وهو بروز الممارسة الديمقراطية، ومعها الجناح الديمقراطي ضمن طبقة مالكي العبيد (الأرستقراطيين و التجار)، والذي حددت نزاعاته السياسية والاجتماعية ملامح الوجه الفكري والثقافي للبلاد، حيث حققت النجاحات التالية:

- الإزالة الطارئة للعلاقات القائمة على الدين، انطلاقا من تشريعات "صولون". (وهو إغريقي عاش بين 560-640، وهو من حكماء اليونان السبعة ومن السياسيين اللامعين عندهم).
- رفع مستوى الزراعة خلال حكم "أبايسترا توس" في منطقة أثينا خلال النصف الثاني من القرن السادس (ق.م).
- الثورة الديمقراطية سنة 506 (ق.م) بقيادة "كلايستينس"، وسقوط النبلاء نهائيًا ومعهم العلاقات القبلية.
- تحولت قواعد اللعبة السياسية إلى قواعد فكرية عامة قام بتبنيها وتطويرها التفكير الفلسفي.
- العامل الثقافي الفكري: إذ جمع التراث الأسطوري اليوناني في ملحمتين يونانيتين وهما: "الإلياذة" و"الأوديسا" اللتان نسبتا "لهوميروس" (حوالي 800 ق.م)، و"الإلياذة"



تحكي قصة حرب "طروادة" وتعتبر مع "الأوديسا" أهم ملحمة شعرية إغريقية، وتدور أحداث "الإلياذة" و"الأوديسا" حول الآلهة البشر وصراع بين أثينا وإسبارطة، وصوَّرها "هوميروس" في شكل ساخر وبيَّن فيها أن البشر إرادة حرة يصنعون من خلالها قراراتهم ويتحملون أخطاءهم، والملحمتان يكملان بعضهما.

- التطور العلمي: وأهم ما يميزه هو ظهور الرياضيات، حيث تأثر الفكر الفلسفي بهذا التفكير.

مراحل التفكير الفلسفي عند اليونانية

بدأ التفكير الفلسفي عند اليونان في القرن السادس قبل الميلاد، وقد مرت الفلسفة اليونانية بعدة مراحل، تتميز كل مرحلة عن غيرها بسمات خاصة ومختلفة، من حيث الموضوعات التي تناولها الفلاسفة في كل مرحلة، ويمكن تقسيم الفلسفة اليونانية إلى أربع مراحل:

1. الفلسفة اليونانية قبل "سقراط".
2. فلسفة السفسطائيون و"سقراط".
3. فلسفة "أفلاطون" و"أرسطو".
4. فلسفة مدرسة الإسكندرية، ويمثلها أفلوطين.

المرحلة الأولى: الفلسفة اليونانية قبل سقراط

وموضوع هذه المرحلة الكون الطبيعي لمعرفة الأصل الذي نشأ عنه، وقد مرت الفلسفة في هذه المرحلة بعدة أدوار، تميز كل دور بمميزات خاصة تميزه كليًا أو جزئيًا عن الدور الآخر، وهذه الأدوار هي:

الأول: الذي تمثله المدرسة الأيونية على يد الفلاسفة الطبيعيين، وعلى رأسهم "طاليس".

الثاني: الذي تمثله المدرسة الفيثاغورية، على يد الفيلسوف "فيثاغورث".

الثالث: الذي يمثله الفلاسفة الإيليون، ومن أشهرهم "بارمنيدس".

الرابع: الذي يمثله الطبيعيون المتأخرون، ومن أشهرهم "ديمقريط".

وسنتناول كل مدرسة بإيجاز:

المدرسة اليونية(الطبيعيون الأول)

تعد مدرسة الطبيعيين الأول أول مدرسة ظهر فيها التفكير الفلسفي المنظم في بلاد اليونان، وقد قامت هذه المدرسة في مقاطعة أيونيا بآسيا الصغرى على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وزعماؤها أربعة هم: "طاليس"، و"أنكسمندر"، و"أنكسمنس"، و"هيراقليطس"، بحث هؤلاء الفلاسفة في الأصل الذي نشأ عنه العالم، واتفقوا أن هذا الأصل مادة موجودة في الطبيعة، ولكنهم اختلفوا في تعيين هذه المادة.

أولًا: "طاليس" ومذهبه الفلسفي:

ذهب "طاليس" إلى أن الماء هو أصل الأشياء ومبدأ الموجودات، منه بدأ وإليه ينحل، وهو الجوهر الأساس الذي تولدت عنه كل الموجودات، وأن الماء قابل لكل صورة، وأنه حين جمد الماء تكونت الأرض، وحين انحل تكون الهواء، ومن صفوة الهواء تكونت النار، ومن الدخان والأبخرة تكونت السماء، ومن الاشتغال الحاصل من الأثير تكونت الكواكب، وذلك كله قياسًا على أن جميع الحيوانات أساسها من الجوهر الرطب الذي هو المني، فأوجب أن يكون مبدأ جميع الأشياء من الرطوبة.. إلى غير ذلك من الأدلة.

ويمكن أن يقال إن فكرة "طاليس" عن الكون ترجع إلى الخرافات والأساطير البابلية والمصرية، وهي ذات نزعة وثنية مادية.

ثانيًا: أنكسمندر (أنكسماندريس) ومذهبه الفلسفي:

رفض "أنكسمندر" رأي "طاليس" أن الماء هو أصل الكون، ورأى أن أصل الأشياء جسم موضوع الكل لا نهاية له، ولم يبين ماهيته، وأن هذا الجسم مزيج من المتضادات من الطويل والقصير، والصغير والكبير، والحار والبارد ..وهكذا.

وقال أن هذه الأشياء كانت في البدء شيئًا واحدًا وجدت فيه هذه المعاني متعادلة متكافئة، وبفعل التطور والحركة حدثت انفصالات واجتماعات بين بعضها والبعض الآخر بنسب معينة وبمقادير متفاوتة، فتكونت عنها الأشياء الطبيعية، والتغيير يحصل بشكل آلي مجرد وبمحض الصدفة، فليس هناك علة فاعلة، وليس هناك غاية من وراء الفعل.

ثالثًا: أنكسيمانس (أنكزمينس) ومذهبه الفلسفي:

قال بوجود إله أزلي لا أول له ولا آخر، هو مبدأ الأشياء، ولا بدء له، هو المدرك من خلقه، أنّه هو فقط، وأنه لا هوية تشبهه، وكل هوية فمبدعة منه، وكل مبدع ظهرت صورته في حد الإبداع، فقد كانت صورته في علمه الأول.

وذهب "أنكسيمانس" إلى أن أصل الكون هو الهواء، وهو المبدأ الأول للوجود، ومنه تكوَّن جميع ما في العالم من الأجرام العلوية والسفلية، وتتولد منه الأشياء عن طريق التخلل والتكاثف، فإذا تخلخل الهواء صار نارًا، ومن النار تولدت كل الأشياء النارية، كالكواكب والنجوم مثلًا، وإذا تكاثف الهواء نشأت عنه الرياح والعواصف والسحب ثم الأمطار، ثم تتكاثف الأمطار فينتج عنها الأتربة والرمال والصخور.

ويتبقى لنا واحدًا من الفلاسفة الطبيعيون، ألا وهو "هيراقليطس"، نُصدِّر به بإذن الله تعالى المقال القادم.

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

أخيراً .. المرأة العاملة تطلب العودة إلى منزلها

- 90% من النساء الفرنسيات العاملات يطالبن بالعودة إلى المنزل.
- المرأة العربية العاملة لا تساعد أسرتها إلا بـ 18% من مرتبها.
- 30% من دخل المرأة العاملة ينفق على زينتها.
- كيف يمكن للمرأة أن تكون عاملة منتجة في بيتها؟

منى محروس

"نرفض أن نكون أشياءً.. نرفض أن نكون سلعاً للتجارة.. سعادتنا لا تكون إلا في المطبخ.. نريد أن تبقى المرأة في البيت.. أعيدوا إلينا أنوثتنا..".

كانت هذه هتافات حملتها لافتات أعداد كبيرة من الفتيات وطالبات الجامعة في مظاهرة نسائية اخترقت شوارع "كوبنهاجن" عاصمة الدانمرك عام 1970م، ولم تكن هذه هي المرة الأولى ولا الأخيرة في تلك المجتمعات التي دعت إلى عمل المرأة وشجعته.

ففي فرنسا أجريت مجلة "ماري كير" استفتاءً للفتيات الفرنسيات من جميع الأعمار والمستويات الاجتماعية والثقافية، وقد كان عنوان الاستفتاء "وداعاً عصر الحرية، وأهلاً بعصر الحريم".

وشمل الاستفتاء رأي 2,5 مليون فتاة في: العمل، وفي الزواج ولزوم البيت، فكانت النتيجة 90% نعم، والأسباب هي كما قلنها: مللت المساواة مع الرجل، مللت حياة التوتر ليل نهار، مللت الاستيقاظ عند الفجر للجري وراء "المترو"، مللت الحياة الزوجية التي لا يرى الزوج فيها زوجته إلا عند النوم، ولا ترى فيها الأم أطفالها إلا على مائدة الطعام.

وفي ألمانيا قامت إحدى الهيئات باستفتاء آلاف من البنين والبنات في سن 14-15 سنة وكانت الإجابة أن 84% منهم يأملون في تكوين أسرة، ولزوم المنزل.

وفي اتجاه عام للرأي في سنغافورة يطالب المسئولون طالبات الجامعات بعدم العمل خارج المنزل للتفرغ لرعاية الزوج وإنجاب الأطفال لأن هذا أفضل ما يرونه للحياة الاجتماعية والاقتصادية.

أما عن مشاحنات العمل فهناك تقارير من "أمريكا" و"انجلترا" ومعظم الدول "الاسكندينافية" بأن المرأة في مجال العمل هناك تتعرض لمعاكسات ومغازلات ومطاردات من قبل الشباب والرجال إلى الحد الذي يطالبون فيه بتقنين عقوبات صارمة ضد الرجال في هذا الصدد.

رغم هذه الإحصائيات فقد تدَّعِي بعض الأقلام أن عمل المرأة ضرورة اقتصادية في بعض المجتمعات العربية.

لكن الدراسة التي أجرتها الدكتورة "زينب النجار" بكلية التجارة جامعة الأزهر مؤخرًا تؤكد أن 18% فقط من دخل المرأة في مجال العمل هو الذي تستفيد منه الأسرة وأن الباقي ينفق في الملابس والأحذية والمواصلات ومتطلبات العمل.

كما أكدت دراسة للمركز القومي للبحوث الاجتماعية في مصر أن 30% من دخل عمل المرأة ينفق في أدوات الزينة.

تقول إحدى النساء المسلمات التي كانت تعمل في إحدى المؤسسات المرموقة لكنها استقالت من عملها: إن الزوجة الصالحة إذا اتقت الله في مال زوجها فالقليل منه مع حسن التدبير يوفر الحياة الكريمة، فلماذا أجهد نفسي وأحملها عبء المواصلات والخروج للعمل يومياً تحت برد الشتاء وشمس الصيف وأرهق صحتي وأعصابي؟ من أجل ماذا؟.. إنني استطعت بسكني وقراري في البيت أن أكون ملكة في بيت زوجي وأولادي، أحظى بالاحترام وأسعد بالاستقرار، أما في العمل فقد اضطررت لسماع كلمات قاسية من رئيسي في العمل أو من أصحاب المصالح كانت تؤذي مشاعري وتنعكس عليّ وعلى زوجي وعلى أطفالي، أما الآن فقد أدركت معنى السكن والقرار.

يقول د. "محمد البسيوني" أستاذ إدارة الأعمال بجامعة حلوان: "إن مجال المرأة الحقيقي هو الأسرة وليس أعظم ولا أنبل من رسالة الأم المباشرة والدائمة والمتصلة يوماً بيوم مع أطفالها وزوجها، ليس فقط من أجل وجبات الطعام والشراب ولكن من أجل الحنان والتربية والخلق وبناء الشخصية، أما عمل المرأة خارج البيت فإنه يخلق لديها روح التمرد على الالتزامات الأسرية وينهك قواها وعاطفتها فلا تجد شيئًا تقدمه لأولادها وزوجها سوى الشكوى أو التمرد".

يقول د. "إبراهيم المحمدي" أستاذ شعبة الاقتصاد: إن هناك تقدماً ملحوظاً في المجال الصناعي والتقني مما سبب تغيرا في حياة الناس وطبائع أعمالهم التي يمارسونها، وبعد ثورة المعلومات، فإن معظم الناس يستخدمون المعلومات في عملهم بدلا من الأشياء المادية، ولن يكون العاملون بحاجة ماسة للانتقال إلى المصانع أو المكاتب في مركز المدينة من أجل العمل، فشبكات الاتصال الحديثة أصبحت قادرة على نقل المعلومات إلى حيث يوجد الناس وحيثما أرادوا العمل.

وستفضل أعداد كبيرة من الناس العيش والعمل خارج نطاق المدن الكبرى، فهنالك الآن إمكانية للعمل عن بعد، فالتقنية التي تسمح بذلك.

ونتيجة لهذا التقدم يتزايد كل يوم عدد المؤسسات التي تختار إبقاء العاملين معها في منازلهم، ربما في مدينة أخرى أو حتى بلد آخر، بسبب الميزات العديدة التي يمكن أن تنتج عن هذا الأسلوب في حالات كثيرة والتي لا تتوقف على خفض التكاليف فقط، نتيجة عدم الحاجة إلى مساحات المكاتب والتكاليف الأخرى، بل أثبت هذا الأسلوب فائدته الكبرى في حالة النساء العاملات اللائي يطمحن دائماً إلى صيغة تمكنهن من الجمع بين العمل ورعاية أُسرهن.

ففي أمريكا مثلا يطبق هذا المشروع، فقد كشفت دراسة نشرت في الولايات المتحدة عام 2004م أن ما يقرب من 48 مليون من أصحاب الأعمال المنزلية في أمريكا - معظمهم من النساء- يعملون من منازلهم لإيجاد موازنة أفضل بين العمل والأسرة، ويكسبون دخلا أكثر من دخل أصحاب المكاتب بحوالي 28%.

إن المرأة العاملة خارج بيتها تنفق من دخلها 40 % على المظهر والمواصلات، أما تلك التي تعمل في بيتها فهي توفر من تكلفة الطعام والشراب مالا يقل عن 30%، والمرأة التي تمكث في البيت توفر مالا يقل عن 70% من الدخل الذي يمكن أن تحصل عليه، بل يمكنها أن تحقق دخلا أكثر مما تحققه الموظفة، إذ تستطيع أن تحول بيتها إلى ورشة إنتاجية بأن تصنع في وقت فراغها ما يحتاج إليه بيتها ومجتمعها.

وعمل المرأة عن بعد من المنزل مطبق أيضاً في المجتمعات الصناعية، فقد ذكر التقرير الصادر عن الأمم المتحدة عن القيمة الاقتصادية لعمل المرأة في البيت أن النساء الآن في المجتمعات الصناعية يساهمن بأكثر من 25% إلى 40% من منتجات الدخل القومي بأعمالهن المنزلية.

تقول الدكتورة "علية هاشم" أستاذ الفقه بجامعة الأزهر: خروج المرأة للعمل في هذا العصر يجب أن يكون مقيداً بالضرورة والضرورة تقدر بقدرها، بمعنى أنه استثناء للأصل وخروج عن القاعدة، فإذا زالت الضرورة التي من أجلها خرجت المرأة للعمل فإنه يجب على المرأة أن ترجع إلى الدور الكريم الذي شرعه الله لها.. وهو دورها في بيتها تنشئ الأجيال وتربي العقول، فإذا تعارض خروج المرأة للعمل مع دورها الأصلي، وترتب على ذلك ضرر يلحق بأسرتها فإنها يجب أن تترك عملها، وهذا لا يضرها في شيء طالما أن هناك زوجًا مسئولاً عن الإنفاق.

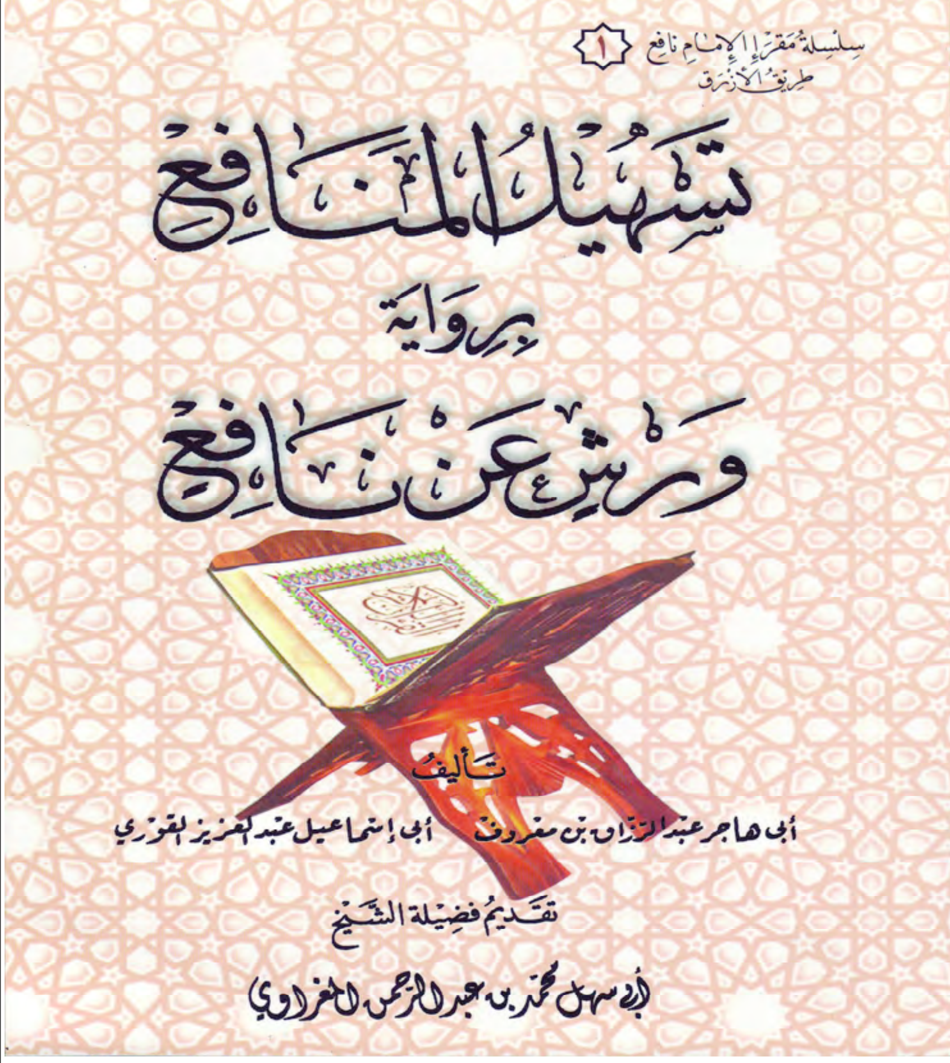
والدور الذي رسمه الله للمرأة في الحياة لا يتعارض مع قيامها بنشاط في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمرأة في الإسلام لها أهلية وصلاحية دينية واجتماعية قال تعالى: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُون بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ" وكلمة المعروف واسعة تشمل كل ما يؤدي إلى تحقيق البر وإرساء قواعد الشرع، أما الأهلية الاقتصادية للمرأة فلها حق التملك والميراث ولهذا الحق في أن تبيع وتشتري وتهب من أموالها.

وهكذا فإن الدول الغربية ساهمت في نشر العمل عن بُعد، ونحن -المجتمعات الإسلامية- أحق بهذه الفرص الوظيفية من الغرب، لأنها توافق ديننا وعاداتنا وتقاليدنا العربية والإسلامية، ولها الكثير من الانعكاسات الإيجابية على المرأة والأسرة والمجتمع، ويمكن أن تؤدي إلى إغناء المرأة وحفظ كرامتها، عن طريق توفير الدخل الإضافي، وكذلك توفير الراحة النفسية لها وجعلها مطمئنة على الأولاد والزوج، وتفتح هذه السياسة كذلك فرص وظيفية للنساء المعاقات جسديا، ويساعد العمل عن بعد على التخفيف من الزحام المروري الحاصل بسبب الذهاب والإياب من العمل.

العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

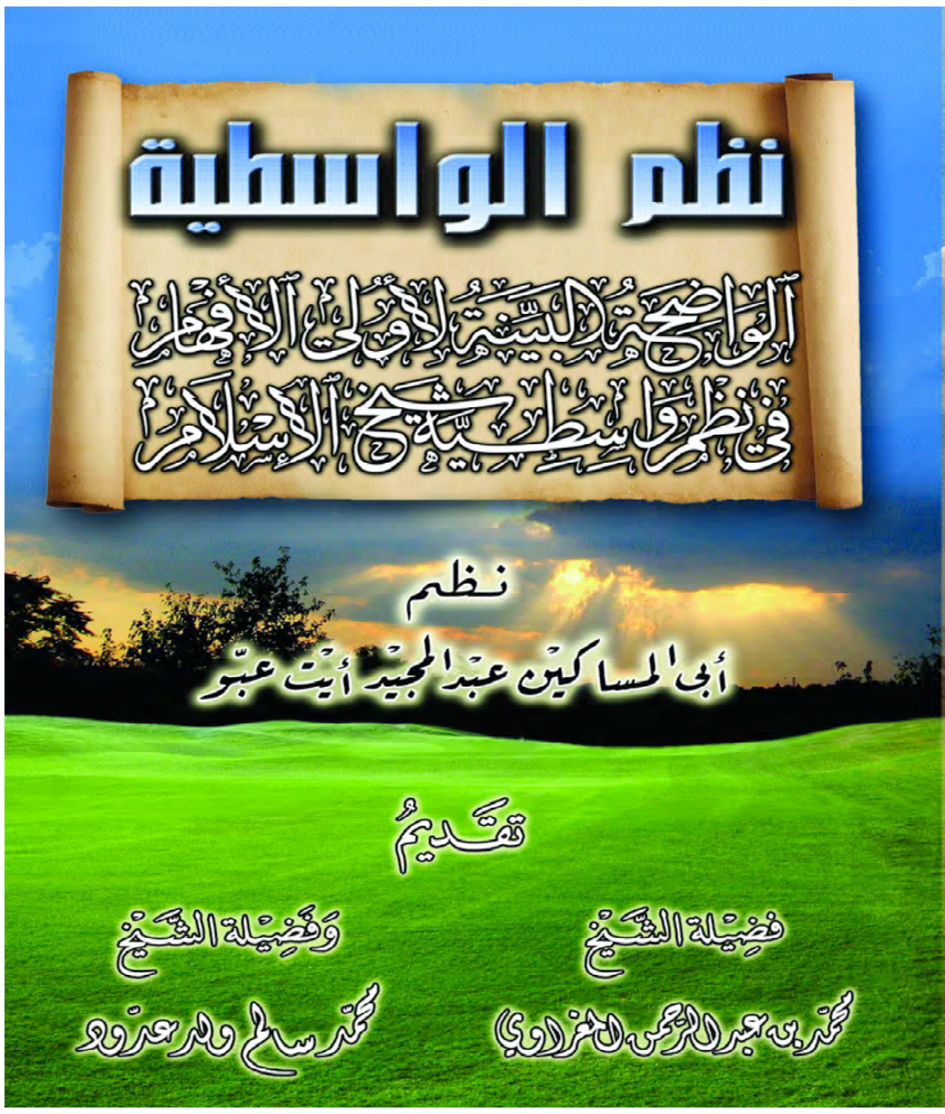


وهو شرح ميسر لعامة الطلبة يتناول فيه مؤلفه بالشرح والدراسة المنظومة المشهورة بالمقدمة لإبن الجزري -رحمه الله تعالى- .



تناول فيه المؤلفان بالدراسة والبحث رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، وذلك تسهيلا لعامة المغاربة لكون هذه الرواية هي المعتمدة في بلدنا، ولكونها سنة أهل المدينة.





العدد 20 - 11 صفر 1428 الموافق لـ 01 مارس 2007

قيام الليل وثماراته والأسباب الميسرة لأدائه

لله در أقوام هجروا لذيذ المنام ونصبوا الأقدام، وانتصبوا للنصب في الظلام، يطلبون الرضا من ذي الجلال والإكرام، إذا جن الليل سهروا، وإذا جاء السحر اعتذروا، وإذا نظروا إلى عيوبهم استغفروا، وإذا تفكروا في ذنوبهم بكوا وانكسروا.

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: "عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو مقربة لكم إلى ربكم ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم" (صحيح الجامع، وأخرجه ابن خزيمة رحمه الله في صحيحه تحت باب: باب التحريض على قيام الليل، والبيهقي في السنن الكبرى تحت باب: باب الترغيب في قيام الليل).

وقد اختلف العلماء في حقيقة التهجد وقيام الليل، فقال النووي رحمه الله: "التهجد شرعا هو صلاة التطوع بالليل" تحرير ألفاظ التنبيه، وكذا قال البعلي والسيوطي عليهما رحمة الله.

ومن أهل العلم من فرق بين التهجد وقيام الليل كالإمام أحمد رحمه الله وغيره.

قال ابن مفلح رحمه الله: "قال الإمام أحمد: قيام الليل من المغرب إلى طلوع الفجر، والتهجد ما كان بعد نومة" المبدع.

ولقد فرض الله تعالى قيام الليل على الأمة في بادئ الأمر فقام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه سَنَة كاملة حتى تفطرت أقدامهم، ثم بعد ذلك خفف الله عنهم فجعل قيام الليل على الأمة مستحبا مرغوبا فيه كما دل على ذلك الحديث في صحيح مسلم، على خلاف حاصل بين العلماء في خصوص هذا النسخ في حقه عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ".

قال الحسن البَصري رحمه الله في معنى الآية: "كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله، ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بالسحر".

وحقيقة استغفارهم في ذلك الوقت المبارك: استغفارهم من التقصير كما قاله الرازي في التفسير الكبير، وقيل استغفارهم في السحر لأنه وقت نزول رب العزة كما في الحديث الصحيح قاله ابن كثير رحمه الله في تفسيره، وقيل خص استغفارهم في هذا الوقت لأنه وقت غفلة ولذة نوم، حيث حضور العبد في هذا الوقت مستغفرا دليل على يقظته كما قاله القاسمي رحمه الله في محاسن التأويل وغيره.

وقال عليه الصلاة والسلام: "أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل" مسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: "نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل" البخاري.

وعن عبد بن مسعود رضي الله عنه قال: "ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل نام ليله حتى أصبح، قال: ذاك رجل بال الشيطان في أذنه" (أخرجه البخاري في كتاب التهجد تحت باب: باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه)، وهذا الصنيع من البخاري رحمه الله يدل على أن الحديث محمول على من لم يقم الليل وبه قال المنذري وابن خزيمة عليهما رحمة الله.

قال الحافظ بن حجر رحمه الله عند هذا الحديث: "قيل البول على حقيقته، وقال القرطبي لا مانع من ذلك لأن الشيطان يأكل ويشرب فلا مانع من بوله، وقيل هو كناية عن سد الشيطان أذني الذي نام عن صلاة الليل، وقيل هو كناية عن سخريته واستهزائه واستخفافه به" الفتح بتصرف.

والصواب حمل ذلك على الحقيقة كما جنح إليه القرطبي رحمه الله فإن ذلك هو الأصل.

قال الحسن البصري رحمه الله: "والله إن بوله لثقيل".

وقد تكلم العلماء رحمهم الله عن مراتب إحياء الليل وقيامه:

أحدها: أن يحيي المرء الليل كله، وقد ذكر ذلك عن



جماعة من السلف، وهذا الفعل مخالف لهدي النبي عليه الصلاة والسلام إلا إذا حمل على غالب الليل.

الثاني: أن يقوم نصف الليل، وهو مروي كذلك عن جماعة من السلف وحقيقته أن ينام الثلث الأول والسدس الأخير.

الثالث: أن يقوم ثلث الليل، بمعنى ينام النصف الأول والسدس الأخير، وهو قيام داوود عليه السلام الذي رغب فيه النبي عليه الصلاة والسلام.

الرابع: أن يقوم سدس الليل أو خمسه.

الخامس: أن ينام أول الليل فإذا انتبه قام الباقي، أو يصلي حتى يغلبه النوم، فيغفوا اغفاءة ثم يقوم للصلاة مرة أخرى هكذا إلى الصبح.

السادس: أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين، فقد أثر عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: "من صلى ركعتين أو أكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجدا أو قائما" ذكره القرطبي في تفسيره.

الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل

ذكر لنا علماؤنا أسبابا تيسر على المرء قيام الليل وهي على كثرتها ترجع إلى أمور ظاهرة وباطنة، أما الظاهرة فهي أربعة:

أولا: ألا يكثر الأكل والشرب فيغلبه النوم.

ثانيا: ألا يتعب نفسه بالنهار -ما استطاع- في الأعمال التي تعيا بها الجوارح فإن ذلك مجلبة للنوم.

ثالثا: ألا يترك القيلولة بالنهار للاستعانة بها على التهجد وصلاة الليل.

رابعا: الحذر من الذنوب والأوزار، قال الثوري رحمه الله: "حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أصبته".

أما الباطنة فثلاثة:

أولا: سلامة القلب من البدع والحقد على المسلمين وفضول هموم الدنيا فصاحب ذلك يثقل عليه قيام الليل.

ثانيا: الخوف من الله مع قصر الأمل والتفكر في أحوال الآخرة وأهوالها فإن ذلك يذهب النوم.

قال ابن المبارك:

إذا ما الليل أظلم كابدوه
فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهموا فقاموا
وأهل الأمن من الدنيا هجوع

ثالثا: أن يستحضر فضل قيام الليل حتى يستحكم بالمرء رجاء ذلك.

فوائد قيام الليل

إن الحرص على هذه العبادة الجليلة تثمر للعبد فوائد عظيمة منها:

- يسهل على المرء القيام يوم يقوم الناس لرب العالمين، وهذا لصبره على القيام لله في الدنيا.
- صحة جسمه وصفاء روحه وبهاء وجهه، قيل للحسن البصري لما كان أهل التهجد أحسن الناس وجوها قال: لأنهم خلو بربهم فألبسهم من نوره.
- يوفق العبد إلى الخيرات وتحل له المشكلات والمعضلات مصداقا لقوله تعالى: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا".

ومما يستأنس به في هذا الباب ترغيبا في قيام الليل ما أثر عن مالك بن دينار حيث قال: سهوت ليلة عن قيام الليل ونمت، فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها ورقة فقالت لي: أتحسن تقرأ؟ فقلت: نعم، فدفعت إلي الورقة فإذا فيها:

أألهتك اللذائذ والأماني
عن البيض الأوانس في الجنان
تعيش مخلدا لا موت فيها
وتلهوا في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيرا
من النوم التهجد بالقرآن

ونحوه كذلك ما يروى عن أزهربن مغيث (وكان من القوامين) أنه قال: رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها: من أنت؟

قالت: حوراء.

فقلت: زوجيني نفسك؟

فقالت: اخطبني إلى سيدي وامهر لي.

فقلت: وما مهرك؟

قالت: طول التهجد.

قال الضحاك: أدركت قوما يستحون من الله في سواد هذا الليل من طول الهجعة.

وقال ابن المنكدر: ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاثة: قيام الليل، ولقاء الإخوان، وصلاة الجماعة.

وقال أبو سليمان الداراني: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم.

وقال الحسن: قيام الليل شرف المؤمنين.